الفصل الثالث

أوطان يتهددها الخطر

فى الفصل الأول ضربنا مثلا لقضايا الأوطان السليبة. وفى الفصل الثانى ضربنا مثلا للأوطان المجاهدة. وفى هذا الفصل نضرب المثل لأوطان يتهددها الخطر.

ولئن كان الجهاد فرض عين لاسترداد الأرض السليبة وفرض كفاية لمساعدة الأوطان المجاهدة.. فهو فرض عين لدفع الخطر عن أوطان إسلامية يتهددها الخطر وإلا فلسوف تئول هذه الأوطان إلى الصنف الأول – أى الأوطان السليبة – ولات يومئذ ندم. ولسوف نشير فى البداية إلى أندونيسيا. دولة إسلامية.. يتهددها خطران، خطر الشيوعية وخطر النصرانية. ثم نشير إلى أخطر دول الإسلام موقعا وتأثيرا وسط شقيقاتها العربية والإسلامية وهى مصر وما يتهددها من أخطار. ونشير قبلها إلى سوريا إشارة موجزة، ثم ننهى هذا الفصل بالحديث عن السودان.

والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* * *

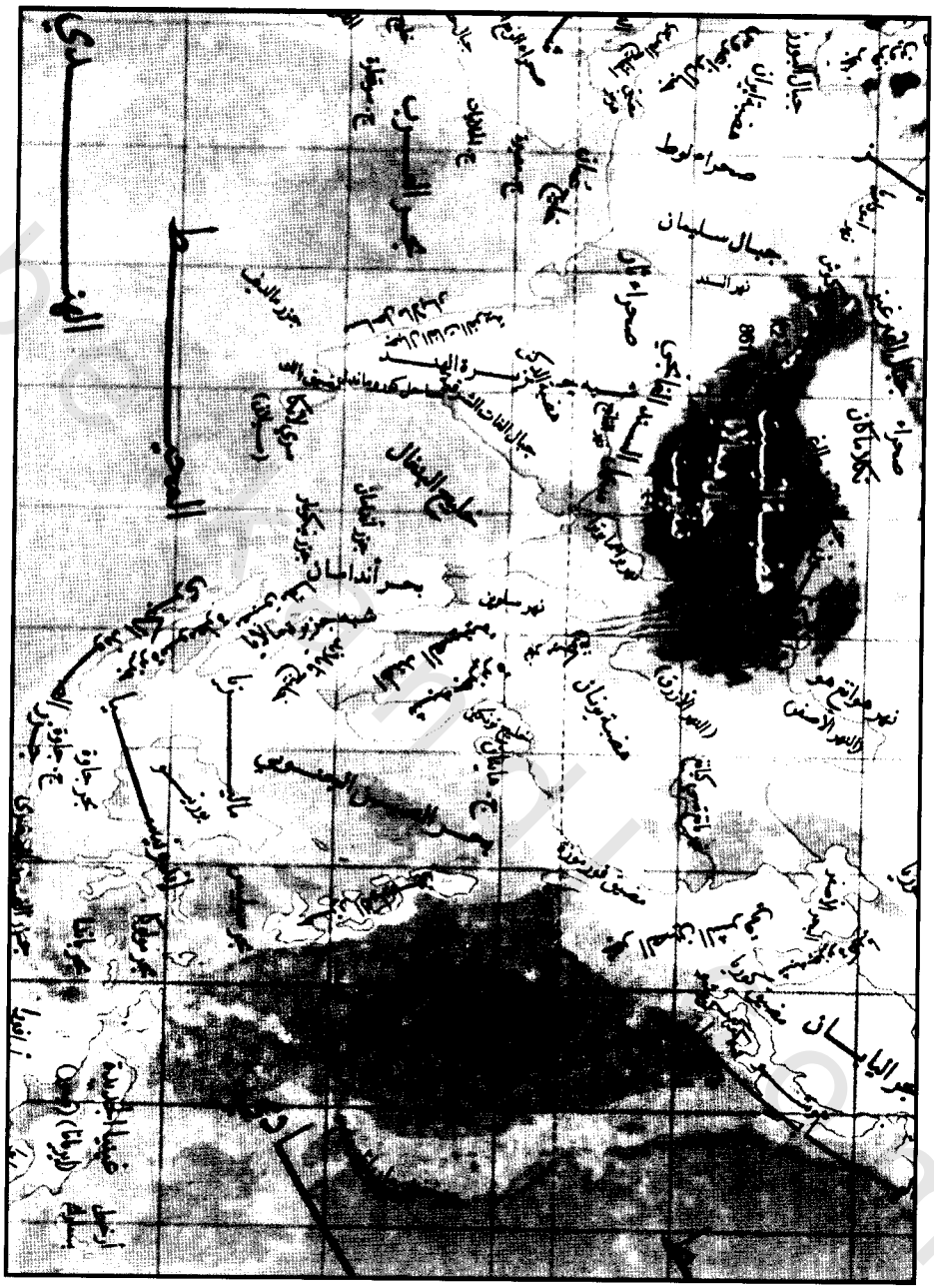

أندونيسيا

المبحث الأول

أندونيسيا

● **أهميتها :**

تمثل من ناحية التعداد – أكبر دولة إسلامية وخامس دولة بعد الصين والهند والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة، فتعدادها يتجاوز ١٢٠ مليون وهو أكثر من عشر عدد مسلمى العالم. ومن ناحية الموقع تقع بين قارتى آسيا واستراليا وتطل على المحيطين الهندى والهادى، ومساحتها ٧٣٥٫٨٦٥ ميلا مربعا متوزعة بين ١٣ ألف جزيرة منها ستة آلاف آهلة بالسكان وتجاوز بلادا حكمتها الشيوعية مثل كمبوديا وفيتنام ولاوس، وأخرى تتهددها الشيوعية مثل ماليزيا وفطانى.

ولها أهمية أخيرة من ناحية ما يتهددها من تيارات تكاد تعصف بإسلامها وهو ما نتناوله بإذن الله فى هذا المبحث.

● **إسلامها :**

وصلها نور الإسلام مع فجره الأول حين حمله تجار المسلمين الذاهبون إلى جنوب شرق آسيا.. فدخل أخوتنا فى أندونيسيا الإسلام طواعية حبا واختيارا.

وبقى الإسلام هو الدين الأول – بحمد الله – وإن وجدت أقلية مسيحية تصل إلى حوالى العشر، (١٥ مليون حاليا).

وبقى دين الإسلام هو حافز الجهاد ضد الأعداء الذين استعمروا بلاد أندونيسيا، وتصاعدت موجة الإسلام حتى بلغت ذروتها سنة ١٩٠٦ بتشكيل « شركة إسلام » مما دفع الاستعمار الهولندى إلى التفكير فى اتجاهين لحرب الإسلام. غرسها.. وجنى المسلمون ثمارها المرة بعد الاستقلال، ومع ذلك تشكل فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٥ حزب سياسى إسلامى « ماشومى » يمارس السلطات والحقوق السياسية فى أندونيسيا.. لكنه تعرض بعد ذلك لاضطهاد سوكارنو.

● **الماركسية تهدد الشعب المسلم :**

وكلت هولندا المستعمرة إلى المستشرق « ستوك » وضع مخطط لوقف التيار الإسلامى الزاحف، فاقترح أن يسير تيار القومية مع تيار الماركسية لتحطيم تيار الدين، ولحق بـ « ستوك » المهندس « ستيفليت » الذى وقف نشاطه على نشر

الماركسية بين الشعب الأندونيسى المسلم وقدمت له السلطات الهولندية المحتلة تسهيلات هائلة.

وفى ١٣ مايو سنة ١٩٢٠ أعلن عن تشكيل الحزب الشيوعى الأندونيسى، وكان قد سبقه فى سنة ١٩١٧ تشكيل الحزب الاشتراكى الديمقراطى الهولندى (كفرع للحزب الاشتراكى الهولندى فى هولندا) وكان الشيوعيون الأندونيسيون يعتبرون أندونيسيا جزءا من هولندا.

وفى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٠ أعلن انضمام الحزب الشيوعى الأندونيسى إلى الكومنترن (منظمة الشيوعية العالمية) وبدءا من سنة ١٩٢٦ بدأت البعثات تتوالى على الاتحاد السوفييتى وفى ١٧ أغسطس ١٩٤٥ أعلن استقلال أندونيسيا وانتخبت سوكارنو رئيسا للجمهورية، وفى أول أكتوبر من نفس العام بعث الرئيس الجديد تهنئة إلى ستالين بمناسبة ذكرى ثورة أكتوبر جاء فيها: «إننا نؤيد الاتحاد السوفييتى لأنه يحارب من أجل العدالة والسلم العالميين ومن أجل الإنسانية».

وبقى سوكارنو فى الحكم عشرين عاما يحارب التيار الإسلامى، ويحل حزب ماشومى الإسلامى ويمكن للشيوعية فى بلاد المسلمين، فضلا عن انحلاله الظاهر الذى لم يكن يخفيه بل كان «يفلسفه» وهو ما دعا الشيوعيين إلى محاولة الانقضاض للإمساك بزمام الحكم مرتين، مرة فى سبتمبر ١٩٤٨ والأخرى فى سبتمبر ١٩٦٥.

وفى كل مرة كان سوكارنو يحاول تبرير ما حدث ويقف موقف المتفرج ظاهرا والمؤيد باطنا. وفى المرة الأولى جهز الشيوعيون جيشا قوامه خمسة وثلاثون ألفا، وقتلوا من العلماء والمدرسين والمناهضين لحركتهم ألفا وخمسمائة فى الفترة التالية لإعلان جمهوريتهم الشيوعية تحت اسم دولة أندونيسيا السوفييتية، وأعلن الشعب الجهاد المقدس ضد الشيوعية الكافرة ودوت كلمة «الله أكبر» فى كل مكان، وتحرك الجيش الأندونيسى تحت قيادة الحارث ناسوغلتون للقضاء على عملاء الكرملين. وفى ٨ سبتمبر ١٩٥٧ انعقد مؤتمر إسلامى ضم ٦٢٩ عضوا فى مدينة «بالمبالغ» بينهم ٣٢٥ من كبار العلماء والأعماد، و ٢٨٤ من الساسة والمدرسين.. وقرر المؤتمر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٧:

١ – يحرم على المسلمين أن يحكمهم شيوعى أو شيوعيون.

٢ – المؤتمر يطالب بحل الوزارة الخالية وتأليف وزارة جديدة لا يشترك فيها شيوعى واحد.

٣ – أن المؤتمر ليأسف أشد الأسف حيث أصبح الرئيس سوكارنو حصن الشيوعية الحصين وأعطاهم المجال الواسع لمشاركتهم فى أمور الدولة والحكم.

أما المحاولة الثانية سنة ١٩٦٥ ...

فقد سبقتها تمهيدات كان آخرها خطاب الرئيس سوكارنو فى اليوم السابق مباشرة فى مهرجان الشباب الشيوعى بالملعب الرياضى بجاكرتا حيث قال:

«إن الاستقرار لن يكون إلا بإراقة الكثير من الدماء فالطريق نحو هذه الغاية صعب جدا ولكننا يجب ألا تأخذنا الرحمة أو الشفقة».

وفى ليلة المؤامرة تم اختطاف ستة جنرالات وذبحهم وأفلت منهم اثنان آخران ثم تلا ذلك إذاعة بيانات فى أول أكتوبر عن الانقلاب العسكرى المشئوم وعرف كيف ساهمت السفارة الصينية فى الانقلاب.

ولكن الله قيض لهذا الانقلاب كذلك من أحبطه.

وانطلق الشعب يقاوم ويتظاهر ويحرق ويطالب بإسقاط سوكارنو الذى اتخذ شعاره المشؤوم «ناساكوم» لتوطيد دعائم الشيوعية وهو اشتقاق من الكلمات الثلاث:

القوميه: (National) الدين: (Agama) الشيوعية: (Komunis) والذى لم يستح أن يعلن: «إننى ماركسى وأفتخر بذلك، إننى أؤمن بالفلسفة المادية التاريخية»(١).

والذى لم يستح كذلك أن يعلن عن انحلاله وفجوره: «وحياتى الغرامية الذى أخذها المؤلف على مأخذا لا هوادة فيه فإنى أقول بكل صراحة (والأحرى أن يقول بكل وقاحة) أن الرجل الذى لا يدرى ما الغرام ولا يعرف ما الحب ولا يذوق طعم

---

(١) من خطابه يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٦٥ فى الحفل الختامى للمؤتمر الشيوعى بجاركرتا.

الهوى والغرام ولا يفتتن بالجمال.. فهو إما مخنث أو فاقد الرجولة أو جماد فى صورة إنسان ولا شعور له ولا إحساس»[1].

ثم نحى سوكارنو عن الحكم أولا بقرار المجلس الاستشارى الأعلى بإلغاء قرار رئاسته مدى الحياة، ثم بقرار سوكارنو فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٦٧ بتسليم الجنرال سوهارتو مقاليد السلطة ليتولاها الأخير منذ ١٢ مارس ١٩٦٧ وليقصى الشيوعيين عن الحكم ويشترك فيه ثمانية أحزاب من بينها ثلاثة أحزاب إسلامية.

لكن.. بكل أسف نقرر.. أنه إذا كان سوكارنو قد مكن الشيوعية فإن خلفاءه اليوم يمكنون للنصرانية وكأنها هى البديل، أو كأنها كانت ثمن التمكين.

● **النصرانية تهدد أندونيسيا:**

لا نحمل العهد القائم كبر التمكين للنصرانية فى أندونيسيا، لكنا نحمله كبر السكوت، والسكوت ممن كان فى موقع المسؤولية مشاركة وأى مشاركة، ونمسك عما وراء السكوت فليس لدينا علمه، ولئن أمكننا علمه فلا نملك الدليل عليه.

ونكتفى بأن نسوق الحقائق التالية:

١ – إن النصارى قد نجحوا فى التسلل إلى السلطلة عن طريق السيطرة على منظمة الحرفيين (طائفة الجوليكار) سواء فى ذلك السلطة التنفيذية أو التشريعية كما سيطروا على ادارة أربع ولايات ومحافظات تتمتع بميزة الحكم اللامركزى. كما استطاعوا السيطرة الكاملة على الهيئة المركزية للحزب الديموقراطى.

٢ – استطاعوا بالاشتراك مع الصينيين السيطرة على القطاع الاقتصادى.

٣ – كل ذلك مع أنهم لا يجاوزون من بين ١٢٠ ملونا أكثر من خمسة عشر مليونا.

٤ – لهم ٨ آلاف كنيسة، ٣٥٠٠ قسيسا، ٨٠٠٠ مبشر يسيطرون على وسائل الإعلام ولهم خمسون مطارا، ولهم مدارس ومستشفيات ومستوصفات.

٥ – استطاعوا – وهذه خاتمة المآسى – استطاعوا أن ينصروا ثلاثة ملايين

---

(١) فى رده على كتاب الأخ محمد أسد شهاب «أندونيسيا المعاصرة» ص ٢٨٧.

مسلم خلال عامين على ما تشهد به الندوة العالمية للشباب الإسلامى وخمسة ملايين على ما يشهد به أبناؤنا من طلاب أندونيسيا المسلمة.

٦ – استغلوا وسائل التهجير إلى مناطق جديدة للتنصير[١].

وهم يستغلون فى ذلك حالة الفقر المدقع الذى تعيشه غالبية المسلمين هناك إلى جوار ما يشيع بينهم من جهل بالغزو الفكرى الخطير الذى تتعرض له أندونيسيا ويتعرض معها كذلك العالم الإسلامى كله.

---

(١) وننقل هنا جزءا من بحث لأحد تلاميذنا (محمد صالح بن رحمانى) حول نشاط التهجير والتنصير، والله المستعان.

التهجير الداخلى

نظرا إلى أن الحديث عن التنصير ووسائله فى أندنيسيا يطول، فإنى اقتصر فى ختام هذا المبحث عن التهجير الداخلى فقط. حيث يعد من أحدث وسائل التنصير فى أندونيسيا وأشدها خطورة.

يعد التهجير الداخلى واحدا من بين مشروعات التنمية التى شجعت الحكومة على تنفيذها، وأصدرت بشأنه القرار رقم ٣ سنة ١٩٧٢ . ويرمى هذا المشروع إلى هدفين أساسيين[١]:

الأول: حل مشكلة الكثافة السكانية، ومن بين الجزر التى اكتظت بالسكان جزر جاوا ومادورا وبالى، وكلها من الجزر الصغيرة، حيث يقطن فيها أكثر من ٦٠٪ من مجموع سكان البلاد، الأمر الذى أدى إلى ضعف مستويات الإنتاج وفرص العمل للسكان، وتأمل الحكومة بهذا المشروع أن يخفف من هذه الكثافة، وذلك بتهجير بعض سكانها إلى مناطق جديدة خالية من السكان فى جزر سومطرا وكاليمانتان وسولاويس وايربان جابا.

الثانى: إيجاد مجالات للعمل والإنتاج الزراعى للمهجرين فى مستوطناتهم الجديدة ذات التربة الخصبة، حيث أعطى لكل أسرة من المهجرين قطعة من الأرض ليبدأ بتعميرها وزراعتها.

وقد وجد المنصرون هذا المشروع فرصة ذهبية لنشر ديانتهم بين هؤلاء المهجرين، ومعظمهم من المسلمين، وذلك للأسباب التالية:

(أ) أن المهجرين أغلبهم من فقراء المسلمين والأميين، وهم ينقلون إلى مناطق جديدة بعيدة عن مراكز التجمع والمدن، ومخالفة لما يألفونه فى موطنهم الأصلى، وهذا مما يجعلهم فى أمس الحاجة إلى مرشدهم لرفع مستوى معيشتهم فى تلك المناطق الجديدة.

(ب) عانت الحكومة عبئا ثقيلا فى سبيل تنفيذ هذا المشروع بسبب النقص الشديد فى ميزانية الدولة، إذ لا بد لها من تأمين نقل المهجرين من أوطانهم إلى أماكن التهجير، ومساعدتهم =

---

(١) مجلة بوسوس (باللغة الأندونيسية) العدد ٩٣، فبراير ١٩٨٤ م.

● مستقبل أندونيسيا :

أندونيسيا فى مستقبلها يهددها خطران : خطر الشيوعية الزاحف من حولها والذى لا يزال – رغم محاولة الاستئصال – كالسرطان متمكنا من جسد الأمة الأندونيسية المسلمة .

= فى إنشاء مرافق الحياة الصحية والتعليمية، بالاضافة إلى إعدادها لكل أسر المهجرين مسكنا بسيطا فى مستوطناتهم(١).

ومن هنا رحبت الحكومة بمساهمة جميع الهيئات الخيرية لانجاح المشروع، وقسمته إلى نوعين: التهجير الداخلى الحكومى حيث تتولى الحكومة جميع مصروفاتها، والتهجير الداخلى الأهلى حيث كانت جميع مصروفاته يتولاها المهجر نفسه بمساعدة الهيئات الخيرية.

وبهذا تقمت الهيئات التنصيرية، وفى مقدمتها الهيئات الكاثوليكية التى أبدت استعدادها للقيام بمهام التهجير الداخلى الأهلى، شريطة ان تعد الحكومة المنطقة التى سيهجر إليها السكان، بعد أن رأت ان هذا المشروع وسيلة فعالة للتنصير، إذ أمكنها من الدخول فى الأماكن التى لم يسبق إليها أى منصر، كما أنه سيتيح لها الفرص للانفراد بهؤلاء المهجرين دون مراقبة من الآخرين.

لقد حقق النصارى نجاحا كبيرا خلال نشاطاتهم فى التهجير الداخلى، فالجدول الآتى يوضح بعض ما حققه المنصرون فى مناطق التهجير بجزيرة سومطرا.

عدد المتنصرين

رقم	منطقة التهجير	عام ١٩٧١	عام ١٩٨٠	الزيادة
١	باسامان (سومطر الغربية)	٤٦٢	٢٧٣٤	٢٢٧٢
٢	موسى (سومطر الجنوبية)	–	٣٣١٩	٣٣١٩
٣	لامبوغ الشمالية (سومطر الجنوبية)	٢٠٩٤	١٤٢٠٠	١٢١٠٦
	المجموع	٢٥٥٦	٢٠٢٥٣	١٧٦٩٧(٢)

يبين الجدول ارتفاع عدد النصارى بسرعة مذهلة فى ثلاث مناطق التهجير فقط، ومن خلال تسع سنوات فقط (١٩٧١ – ١٩٨٠) استطاع المنصرون أن ينصروا (١٧٦٩٧) وطنيا.

---

(١) انظر قضايا الساعة فى أندونيسيا، مجلة منار الإسلام، العدد ٨ – شعبان ١٤٠٥ هـ، ص ١١٥ .

(٢) المصدر: الهيئة المركزية للإحصاء – جاكرتا – سنة ١٩٨٠ .

ثم خطر النصرانية الزاحف الماثل أمام كل ذى عينين، والذى توصل حتى الآن إلى تنصير حوالى خمسة ملايين مسلم على ما يذكر الثقات من أبناء أندونيسيا.

ولئن كان حماس الحاكمين واضحا فى مواجهة التيار الشيوعى فإنه غير واضح فى مواجهة التيار النصرانى، بل إن الواضح هو السكوت على ذلك التيار إن لم نقل تشجيعه، وهو ما يدل عليه تنصير ثلاثة ملايين خلال عامين الأمر الذى لم يحدث خلال تاريخ الإسلام كله ولا فى أى مكان من بلاد الإسلام كلها، ولا نستطيع أن نقول أن الجهود الفردية بل والشعبية كافية وحدها لصد تيار التنصير العالمى..

بل لابد من وقفة واضحة من الحاكمين وإلا فوقفة معهم، ولابد مع ذلك من وقفة واضحة من بلاد الإسلام حكومات وشعوبا ومنظمات تقدم فيها:

أولا: العون المادى لأبناء أندونيسيا الجائعين حتى لا يتم تنصير الأسرة بحفنات من الأرز تقدم إليهم من المبشرين.

وقد قلنا فى مناسبة: أن ما يلقى فى القمامات وما يتساقط من الموائد فى الدول الغنية يسد رمق شعب أندونيسيا ويكفيه.

ثانيا: العون المعنوى والأدبى.. بما يقدم من كتب ومؤلفات ونشرات وتوعية ودعوة تقوم بها حكومات العالم الإسلامى ومنظماته.

ثالثا: لا بد من صحوة شعب أندونيسيا يفيق بها على خطر النصرانية المحدق كما أفاق من قبل على خطر الشيوعية المحدق فمزقه وداسه - رغم عنفه - مرتين.

وصيحة الإسلام فى أندونيسيا.. سوف يسمع صداها فى فطانى والفيلبين.. بل وفى الأندلس وفلسطين.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

* * *

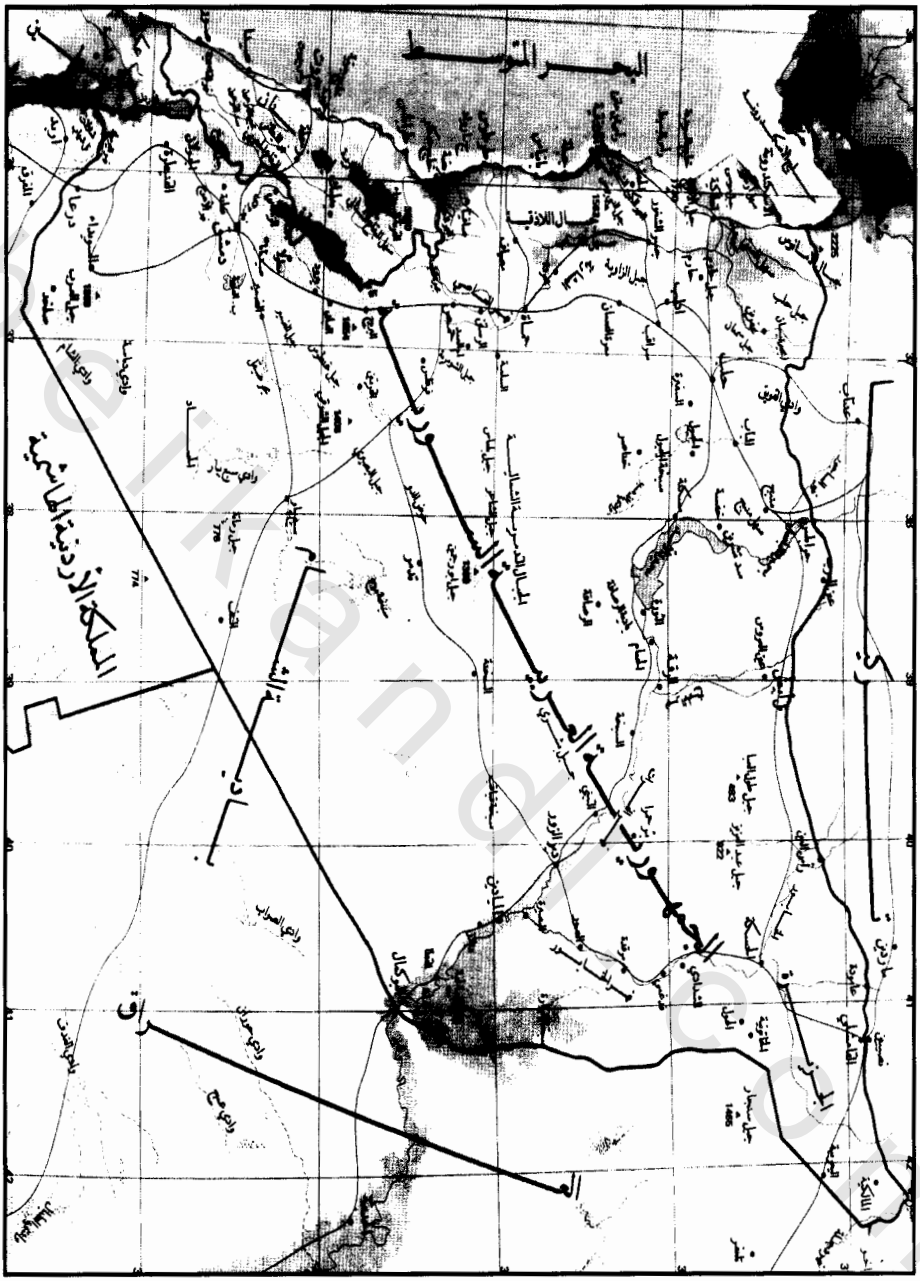

الجمهورية العربية السورية

المبحث الثانى

سـوريا

● **مقـدمة :**

جـزء من بلاد الشـام . . التى قـسـمـهـا الاسـتـعـمـار إلى سـوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، تقع فى شـمـال غـرب آسـيـا، وتحيط بهـا لبنان، والعـراق، والأردن، وفلسطين، وتركيا.

تعداد أبنائها ٧ ملايين، منهم ١٠٪ من الفئة النصيرية، وكانوا يسكنون الجبال، ثم هبطوا إلى المدن مع المؤامرة الكبرى على الإسلام فى سوريا، دخلها الإسلام مع الصدر الأول ثم صارت مهدا لأول دولة إسلامية بعد عهد الراشدين. شاركت فى دفع التتار، وفى دفع الصليبيين، وإن تحركت بالخيانة فيها طائفة النصيرين. . وفى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ انطلقت منها كتائب مؤمنة لحرب اليهود تحت قيادة الدكتور مصطفى السباعى . . بعيدا عن الجيوش الرسمية.

وفى الحديث عن حاضر سوريا نتحدث عن:

١ – البعـ ٠

٢ – النصيرية.

٣ – معارك ضد الإسلام.

١ – البعث

١ – نشـأة الحزب :

نشأ منذ حوالى ثلث قرن، على كتف اثنين أحدهما نصيرى من سواعد اسكندرون «زكى الأرسوزى» . . وآخر نصرانى من نصارى اليونان «ميشيل عفلق» – وضم منذ نشأته طوائف غير إسلامية: نصيرية، ونصارى، ودرزية، وإسماعيلية على هذا الترتيب فى الثقل ولم يضم من أهل السنة إلا العاجز التافه (من أمثال صلاح البيطار وأمين الحافظ).

وقد ولد حزب البعث فى أحضان الاستعمار الفرنسى، وكانت فرنسا الصليبية هى التى احتضنته وغذته وغرست فى نفوس أعضائه الحقد على الإسلام والكيد للمسلمين. ومن حقائق الواقع المعاصر أن نصارى الشام كانوا هم المبشرين بدعوة القومية العربية لتحل محل دعوة التجمع الإسلامى. وقد ترعرع الحزب فى جو الإرهاب والانقلابات العسكرية، تلك السلسلة التى بدأتها المخابرات الأمريكية بانقلاب حسنى الزعيم فى ٣٠ مايو ١٩٤٩ على يد مهندس الانقلابات العسكرية فى المنطقة العربية «كيرميت روزفلت» رجل المخابرات الأمريكية المركزية الذى نظم معظم هذه الانقلابات[١].

يصف الأستاذ جلال السيد – وهو عضو قديم فى حزب البعث – انقلاب الثامن من آذار (مارس) ١٩٦٣ بقوله: «سلك حكام ثورة الثامن من آذار مسالك أعطت عنها بعض الحق ليقول الناس فيها أقوالا تصف ظواهر الأمور البادية للعيان، فهى فى نظر الناس ثورة الأقليات الطائفية على الأكثرية. وهى ثورة الجهل على العلم وذلك برفع الجهلاء من الحزبيين وخفض العلماء سواهم. وهى ثورة التحلل وقطع الأواصر الاجتماعية على المروءات والأخلاق العربية، ثم هى فوق ذلك ثورة الإلحاد والمروق على الدين ومناخه الروحى. وهى ثورة المصالح المادية على المعانى السامية والمصطلحات وثورة الماركسية على القومية وتراثها العربى الثمين»[٢].

وبانقلاب مارس ١٩٦٣ كانت المرحلة الثانية من مراحل حزب البعث حيث بدأ الانقسام داخل الحزب.. وبدأ طغيان الطائفة النصيرية بالحزب، وألقى ميشيل بيانا فى القيادتين القومية والقطرية أشار إلى طغيان الطائفة النصيرية وتعاظم الجناح العسكرى.

حيث قامت ما سمى بالحركة التصحيحية الأولى برز فيها صلاح جديد (نصيرى) وسليم حاطوم (درزى) وعبد الكريم الجندى (إسماعيلى) ووراءهم

---

(١) جابر رزق – الإخوان المسلمين والمؤامرات على سوريا، ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨، ٣٩ نقلا عن كتاب «البعث» لجلال السيد ص ١٨٧ .

حافظ الأسد (نصيرى) ولجأ ميشيل عفلق إلى العراق وخاضوا حرب الجولان وشهدوا النكسة أو شاركوا فى الخيانة. وحاول جناح سليم حاطوم وبدر جمعة استغلال خوض ما بعد الهزيمة لكنهما اعتقلا وأعدما. واستمر الصراع، فأزيح الدروز، ثم الإسماعيلية (ممثلين فى عبد الكريم الجندى الذى قتل). وقامت الحركة التصحيحية الثانية (بقيادة حافظ الأسد وجماعته) ليتم تصفية الحزب مما بقى منه من أهل السنة والدروز، ولتتم السيطرة الكاملة للطائفة النصيرية (١٦/١١/١٩٧٠).

ومن يتأمل تاريخ الشعب السورى منذ انقلاب حسنى الزعيم الذى دبرته المخابرات الأمريكية وحتى تمكين الطائفة النصيرية من حكم سوريا يجد أن التمكين لإسرائيل وضمان أمنها هو الهدف من كل ما جرى ويجرى فى سوريا من خلال أحداث تلك الحقبة السوداء – لقد كان حسنى الزعيم يؤكد لسادته الأمريكان أنه ينوى اتخاذ بعض الإجراءات الإيجابية لإنهاء النزاع العربى الإسرائيلى، وكان الإنجاز الوحيد الذى أنجزه حسنى الزعيم هو عقد اتفاقية الهدنة مع إسرائيل عقب نكسة ١٩٤٨[١].

كما أن سلسلة الانقلابات العسكرية التى أعقبت انقلاب حسنى الزعيم كانت كلها صناعة أمريكية، وسارت فى نفس الطريق الذى سار فيه حسنى الزعيم، وكان الهدف من كل ذلك هو النيل من قوة الجيش السورى حيث أدت هذه الانقلابات المتوالية إلى تفريغ ذلك الجيش العربى الإسلامى من كل العناصر الشريفة بالتسريح أو الطرد أو السجن أو الإعدام، لأن الجيش السورى كان بمثابة القلعة الحصينة التى تقف عقبة كئودا فى طريق المخطط الإمبريالى الصليبى الصهيونى، خاصة أن الشعب السورى كان هو الشعب الذى لم يفلح الحكم التركى والفرنسى فى إذلاله وترويضه[٢].

---

(١) جابر رزق – الإخوان المسلمون والمؤامرات على سوريا ص٦٧ نقلا عن «لعبة الأمم» لمايلز كوبلاند ص ٧٤ .

(٢) جابر رزق – الإخوان المسلمون والمؤامرة على سوريا نقلا عن لعبة الأمم لمايلز كوبلاند.

● **مبادئ الحزب :**

يرفع الحزب شعار : الوحدة – الحرية – الاشتراكية . ويقوم على مفهوم علمانى بعيدا عن أى قيم دينية . ويلاحظ أن ميلاده كان مع ميلاد التدخل الأمريكانى فى المنطقة وريثا للنفوذين البريطانى والفرنسى، ومع ميلاد الانقلابات العسكرية، وصناعة الزعماء، وصياغة الشعارات، وحرب الجماعات الإسلامية وبعبارة أخرى مع ميلاد الاستعمار الجديد فى المنطقة الإسلامية .

وقد حدث تحالف بين حزب البعث، والنظام الناصرى فترة ما، واعتبر ميشيل عفلق إبان فترة وحدة سوريا مع مصر مستشارا سياسيا للرئيس السابق، وفيلسوفا للنظام، وقد أنشأ الأخير بعد لجوئه إلى العراق جناح حزب البعث العراقى، واحتدم الصراع بين الجناحين .

● **الحزب فى سوريا فى الوقت الحاضر :**

بعد ثلث قرن من قيام الحزب، وخمسة عشر عاما من حكمه سوريا صدر قانون يسمى « قانون أمن الحزب » ينص فى مادته الأولى على أنه الحزب القائد فى المجتمع والدولة (م ١)، وينص على اعتبار أموال الحزب أموالا عامة .

ويقضى بالعقاب علي كل من يجمع بين عضوية الحزب والانتماء إلى أى تنظيم سياسى آخر (م ٥ / ١) وترفع العقوبة إلى الإعدام إذا حصل اعتداء على أحد أنصار الحزب واتهم بالقتل أو ثبت معه اتصال بجهة أجنبية . . (م١٠ / ب) .

وهكذا تجرى حماية الحزب ومساندته بسيف القانون القاطع، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الوهن الذى أصاب الحزب، والانهيار الداخلى فيه الأمر الذى يحاول تداركه ومقاومته بسيف القانون . وإلا فلا يوجد حزب فى العالم يحمى نفسه على هذا النحو . . وكان آخر ما أصدره النظام الحاكم فى سوريا لقهر كل القوى الإسلامية هو إصدار قانون صدق عليه البرلمان السورى يقضى بإعدام كل من يثبت انتماؤه لجماعة الإخوان المسلمين والهدف من ذلك تصفية كل القوى العربية الإسلامية القادرة على مقاومة الطغيان والإرهاب الذى يسعى للقضاء على الإسلام فى قلب بلاد الشام .

● **النصرانية لا تزال تسند النصيرية:**

قد يرى البعض فى إبعاد ميشيل عفلق والتجائه إلى العراق تصفية للعنصر النصرانى إلا أن من يرى أنه لا يزال فى القيادة القطرية «جورج صدقى، وجوزيف صباغ» ومن مستشارى رئيس الجمهورية «جورج جبور» وإسكندر لوقا، وأنطوان مقدسى». ومن رجال الإعلام «جبران كوريه» ومن رجال الجيش «إلياس بيركور».. يعلم أن النصرانية لا تزال تدعم النصيرية، وأنها على طريقتها إذا اقتقدت السلطان الكامل أو المباشر تلوت وتلونت..

* * *

٢ - النصيرية

● **نشأة هذه الطائفة:**

توفى الحسن العسكرى عام ٢٦٠ هـ ولم يعقب. فاحتال محمد بن نصير وزعم أن للحسن العسكرى ولدا اسمه محمد، وأن الإمامة انتقلت إليه وأنه اختفى فى سرداب أبيه فى سن الخامسة.. ولم يخرج حتى الآن وزعم أنه المهدى المنتظر، واختلف فى ذلك مع الشيعة الإمامية الذين أعطوا هذا الشرف لرجل يبيع الزيت أمام بيت الحسن العسكرى فهرب ابن نصير وأنشأ فرقة النصيرية.

● **مبادئ الفرقة:**

مستمدة من السبئية والخطابية المجوسية والنصرانية والشيعة الاثنى عشرية وهم يزعمون:

١ - أن عليا رضى الله عنه هو إله السموات والأرض، وأن البرق صوته والرعد سوطه.

٢ - وقالوا بتناسخ الأرواح وأنكروا البعث واليوم الآخر والجنة والنار وزعموا أن البشر حين يموتون تنتقل أرواحهم إلى جسد آخر إلها أو حيوانا تبعا لمسؤولية الروح.

٣ - وأحيوا أعياد المجوس والنصارى مثل عيد النيروز، وعيد الروغان، وعيد الميلاد، وعيد التجلى، وعيد ١٧ آذار، وعيد القديسة باربارا، وأعياد مبتدعة مثل عيد الغدير، والمباهلة، والفراش، وعاشوراء.. إلخ.

٤ – كفروا بالله بزعمهم «الحلول» إذ قالوا:

إن الله حل فى هابيل – وكان آدم رسوله الناطق.

ثم حل فى شيث – وكان نوح رسوله الناطق.

ثم حل فى إسماعيل – وكان إبراهيم رسوله الناطق.

ثم حل فى يسوع – وكان موسى رسوله الناطق.

ثم حل فى باطرة – وكان عيسى رسوله الناطق.

ثم حل فى على – وكان محمد ﷺ، رسوله الناطق[١].

وزعموا كذلك أن عليا خلق محمداً ﷺ، وأن محمدا خلق سلمان الفارسى، وسلمان خلق الأيتام الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم:

(أ) المقداد بن الأسود.

(ب) أبو الدر (أبو ذر الغفارى).

(جـ) عبد الله بن رواحة الأنصارى.

(د) عثمان بن مظعون.

(هـ) قنبر بن كاران.

وزعموا أن هؤلاء الخمسة يقومون على أمر السموات والأرض(!!):

فالأول موكل به: الرعود والصواعق، والزلازل.

والثانى موكل به: دوران الكواكب والنجوم.

والثالث موكل به: الرياح وقبض أرواح البشر.

والرابع موكل به: المعدة، وحرارة الجسد، وأمراض الإنسان.

والخامس: موكل به: نفخ الروح فى الأجسام.

---

(١) صفحة ١٥ من كتاب «العلوية أو النصيرية» تأليف السيد عبد المحسن مهدى العسكرى.

وقد ادعوا كتابا مقدسا أسموه «المجموع»[١]. وبه ست عشرة سورة، الأولى تسمى الأول، والأخيرة تسمى النقيبية، وفى السورة الرابعة (واسمها النسبة) يأتى قولهم: «بشهادة أن لا إله إلا على بن أبى طالب الأصلع الأنزع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسى المقصود»[٢]. ويأتى فى نهايتها قولهم: «وأشهد بأن الحسن الآخر العسكرى هو الأول وهو الآخر، وهو الباطن والظاهر وهو على كل شىء قدير»[٣].

وفى السورة السادسة واسمها «السجود» يأتى قولهم:

«وسجد وجهى الفانى البالى لوجه على الحى الدائم الباقى(!).

يا على يا كبير، يا على يا كبير، يا على يا كبير، يا أكبر من كل كبير(!).

يا مخترع شمس الضحى، وخالق البدر المنير.

يا على لك العزة، يا على لك الوحدة، يا على لك الملك، يا على لك الكبرياء، يا على لك الإشارة، يا على لك الطاعة، يا على لك الشفاعة، يا على لك الفطرة، يا على لك القدرة، يا على أنت على مثال سورة البقرة.

أمانك يا على أمانك، من سخطك وعذابك بعد رضوانك»(!!)[٤].

وقد جاء بأحد كتبهم[٥]:

س١ : من الذى خلقنا ؟

جـ١ : على بن أبى طالب أمير المؤمنين.

س٢ : من أين نعلم أن عليا إله؟

جـ٢ : مما قاله عن نفسه فى خطبة البيان وهو واقف على المنبر إذ قال: أنا سر

---

(١) صفحة ١٤٧ وما بعدها – الجذور التاريخية – إعداد وتعليق الحسينى عبد الله – مركز الخليج للكتاب الإسلامى – دبى.

(٢)، (٣) المرجع السابق ص ١٥٤، ١٥٦.

(٤) صفحة ١٥٩ من الجذور التاريخية.

(٥) كتاب تعليم الديانة النصيرية – مخطوط بباريس رقم ٦١٨١ ص ٨٢ وراجع «العلويون والنصيرية».

الأسرار، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السماوات، أنا أنيس المستجاب، أنا سائق الدعوة، أنا شاهد العهد، أنا زاجرالقواصف، أنا محرك العواصف، أنا مزن السحائب» . . إلى أن قال: «أنا الأول والآخر، أنا الباطن والظاهر» . . وهو كلام مفترى عن على رضى الله عنه.

٥ – استحلوا المحرمات . .

كاستحلالهم «نكاح الذكران» باعتبار ذلك نوعا من التذلل والإخبات من المفعول فيه (!!). واعتبار ما فيه شهوة للطرفين![١].

وكاستحلالهم الزنا. واعتبار المرأة جزءا من الضيافة المقدمة عند الدخول فى أسرار العقيدة[٢]. فضلا عن إسقاطهم التكليف عن المرأة.

وكاستحلالهم الخمر، ومن أدعيتهم: «اشرب هذا الخمر الصافى، فذات يوم ستغطى أنوارها بالغيوم الكثيفة». ولهم فى ذلك اعتقاد فى تعظيم الخمر أنها من النور[٣].

٦ – بالنسبة للصلاة عندهم تعد رموزا لأسماء خمسة: محمد (وقت الظهر)، فاطمة (وقت الفجر)، الحسن، الحسين، محسن (بقية الأوقات).

أما الصيام فهو رمز لحفظ السر المتعلق بثلاثين رجلا تمثلهم أيام الصيام، وثلاثين امرأة تمثلهن ليالى رمضان[٤].

أما الحج فعندهم أنه حرام وشرك!

وثالوثهم: «ع.م.س» – يمثل:

ع: على أو المعنى، أو الغيب المطلق أو الله ﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٤٣].

---

(١) فى كتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى القمى (وهو مصدر شيعى) نقله عنه السيد /عبد الحسين مدى العسكرى، وهو شيعى كذلك فى كتاب: العلويون أو النصيرية ص ٣٤ .

(٢) الجذور التاريخية – المرجع السابق.

(٣) الجذور التاريخية – المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

م: محمد أو الرسم، أو الصورة للمعنى. أو الباب للوصول إلى المعنى.

س: سلمان الفارسى[١].

٧ – يرى الشيعة أن النصيرية فئة مغالية متطرفة، ومن ثم فهى منشقة على الشيعة[٢].

وقد نسب إلى الحسن العسكرى رأيا فى محمد بن نصير مؤسس الفرقة: «أبرأ إلى الله من النميرى محمد بن نصير وابن بابا القمى، فابرأ منهما، فإنى محذرك وجميع موالى، وإنى ألعنهما، مستأكلين يأكلون بنا الناس، فتانين مؤذين آذاهما الله، وأرسلهما فى اللعنة، وأركسهما فى الفتنة ركسا»[٣].

هذا رأى الشيعة فى الفرقة النصيرية.

أما رأى أهل السنة فقد قال الإمام ابن تيمية: «إنهم أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين».

ويترتب على ذلك:

(أ) أنه لا ينكح منهم، ولا تؤكل ذبائحهم.

(ب) أنهم لا يدفنون فى مقابر المسلمين.

(جـ) أنهم لا يجوز بقاؤهم فى أرض المسلمين بجزية أو عقد ذمة.

● **خيانات الفرقة النصيرية فى الماضى والحاضر:**

تعددت خيانات الفرقة النصيرية ضد العروبة والإسلام منذ مهدوا الطريق أمام التتار الذين قضوا على الخلافة العباسية فى بغداد، وكانوا طلائع الغزو الصليبى لبلاد الشام ومصر، وفرنسا التى لا تزال تبارك الجرائم النصيرية فى كل

---

(١) شرح نهج البلاغة ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) كان هذا، ولا يزال هو الظاهر، والله أعلم ببواطنهم خاصة وأنهم يأخذون بالتقية، ولعل أوضاع التعاون الأخير بين إيران (وهى تمثل الشيعة) والنظام السورى (وهو يمثل النصيرية) ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا !

(٣) الخدمة التاريخية ص ٣٧ .

من سوريا ولبنان، وإذا كان النصيريون ركائز للصليبية والتتار فى الماضى فبمساعدتهم احتل الصليبيون القدس ونكلوا بالمسلمين وهم الذين حملوا السلاح مع التتار أثناء عدوانهم على بلاد المسلمين.

وإذا كانوا بالأمس قد جندوا أنفسهم مع جيوش الصليبيين والتتار، فها هم اليوم يحملون السلاح مع الموارنة الصليبيين فى لبنان ضد المسلمين. وحقيقة تعاونهم مع الموارنة تعود إلى زمن الانتداب الفرنسى لبلاد الشام فى مطلع هذا القرن، فقد أقامت لهم دولة وصنعت منهم إلها عبده جميع النصيريين وجندتهم فى جيشها وكانت أما حنونا لهم وللموارنة.

وقد وجدت الطائفة النصيرية فرصتها الذهبية فى الدعوة إلى القومية العربية تلك التى أوحى بها الاستعمار الصليبى والصهيونى إلى عملائه من ذرارى المسلمين والحاقدين من أبناء الطوائف الأخرى (النصارى – الدروز – والإسماعيلين – والنصيريين) وكان حزب البعث هو التجسيد لهذه الفكرة أو هو التنظيم الذى احتوى كل هؤلاء الحاقدين»[1].

● **الفرقة فى الحكم:**

امتطت النصيرية حزب البعث وتسلقت عليه حتى تمكنت من رقاب الشعب السورى رغم أنها تمثل ١٠٪ من هذا الشعب.

وأذاقت الشعب الذى يخالفها فى العقيدة ألوان الخسف والهوان على ما سنشير، واستعملت التقية لتضليل الشعب، ويزعم المتسلط باسمها اليوم أنه مسلم، ويعلن على مسامع الناس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة: ٩، ١٠].

* * *

(١) جابر رزق – الإخوان المسلمون والمؤامرة على سوريا ص ٩٧، ٩٨.

٣ - معارك ضد الإسلام

منذ كان التحالف غير المقدس بين الشعب العلمانى والنصيرية الكافرة ومن بعد أن انفردت النصيرية الكافرة بالحكم من دون البعث الكافر، والمخطط الأثيم ماض لمحاولة تصفية الإسلام فى سوريا.

ومن أمثلة ذلك:

١ - قتل مروان حديد، وهو شاب جامعى مارس الدعوة إلى الله، وعز عليه أن يسمع مذيع البعث يقول: آمنت بالبعث ربا لا شريك له.. وبالعروبة دينا ما له ثان.

فاعتصم بأحد المساجد، وقاوم الغزاة المقتحمين للمسجد.. ثم اعتقل مرة أخرى وفى السجن نقص من ٨٠ إلى ٣٦ كيلو ثم أعطى حقنة سامة وفاضت روحه يوم الإثنين ٢٢ رجب ١٣٩٦ هـ (١٩ تموز - يوليو - ١٩٧٦ م)[١].

٢ - اصطنع حادث مدرسة المدفعية بحلب حيث قام ضابط (يدعى إبراهيم يوسف) بقتل مجموعة من الطلاب النصيرية ومع ذلك ألصقت التهمة بجماعة إسلامية ليتم القبض على مئات بل آلاف من أعضائها وليعلق منهم على أعواد المشانق ثمانية عشر شابا.

٣ - تطورت الأحداث بعد ذلك، واضطر شباب الإسلام إلى حمل السلاح، وخاض معارك ضد الميليشيات (سرايا الدفاع، سرايا الصراع - القوات الخاصة) أعادت إلى الأذهان معارك الصدر الأول للإسلام وتنزلت فيها ملائكة

---

(١) نقل الأستاذ جابر رزق فى كتابه صور بشعة من صور التعذيب الوحشى الذى لقيه مروان حديد على أيدى النظام النصيرى الحاكم فى سوريا نقلا عن الوثائق وشهود العيان، وفيه الأدلة الكافية لاشتراك العناصر الحاكمة فى جرائم التعذيب لتصفية الدعاة إلى الله، ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ونشير كذلك إلى ما نشرته مجلة جيش الشعب السورى - وهى مجلة رسمية بتاريخ ٢٥/٤/١٩٦٧ للمدعو إبراهيم خلاص: «والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربى هى خلق الإنسان الاشتراكى العربى الجديد الذى يؤمن أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التى سادت المجتمع السابق ليست إلا دعاوى محنطةفى متاحف التاريخ».

السماء تحارب إلى جوار المؤمنين ذلك الكفر البواح المتحدى لله ولرسوله وللمؤمنين[1].

٤ – فى ميدان التربية والتعليم: جرى نقل وتحويل ٥٠٠ من المدرسين والمدرسات المعروفين بغيرتهم على الإسلام إلى وظائف كتابية وإدارية بعيدا عن تخصصهم.

٥ – فى الجيش: منعت إقامة الصلوات، وصفى من العناصر الإسلامية على يد مجموعات من قياداته الكافرة، ووصل التنكيل بشعائر الله والسخرية منها إلى حد صب الخمر على المصلى وتجريده من ثيابه أثناء الصلاة (كما حدث للرقيب على الزير وللضابط الملازم الحورانى).

٦ – فى المجال الاقتصادى: هبطت قيمة الليرة السورية نتيجة التخريب المتعمد فى اقتصاد البلاد وحولت عوائد البترول إلى أرصدة الحكام ولم تنزل فى الميزانيات.

أولا – نماذج فريدة:

(أ) مصطفى عبود:

طبيب شاب، تخرج فى جامعات ألمانيا الغربية، وعمل فى حلب، توجهت السلطة للقبض عليه أثناء علاجه لمرضاه، حاول مقاومتهم، تكاثروا عليه، جروه من أقدامه، ورأسه تدحرج على الدرج، عذب فى السجن حتى كسرت ثلاثة أضلاع من الجانب الأيسر لصدره، وكسرت رجله اليمنى، وعطبت يده اليمنى، قدم للمحاكمة.. محاكمة هزلية.. حكمت عليه بالإعدام.. وحين علقوه على المشنقة علقوه وهو ميت !!

(ب) ياسر غنام:

فى الثامنة عشرة من عمره، عرف طريق الحق، وضاق بمظالم المجرمين، واعتقل أخوه الأصغر، وشرد الأخ الآخر، واختار ياسر طريق الجهاد والمجاهدين، وشارك مع قلة من المجاهدين فى معركة باب النصر التى استمرت من المساء حتى

---

(١) نقدم بعض النماذج الفردية ثم الجماعية نقلا عن وثائق وثقات.

الصباح (١٩ / ٨ / ١٩٧٩) وشاركت فيها قوات « سرايا الدفاع » و« المخابرات » و« أمن الدولة » و« الشرطة » و« الحزبيين المسلحين » – واستخدمت القذائف الصاروخية (R. B. G.) لدك البيوت التى يتحصن بها المجاهدون، وسقط من قوات الحكومة حوالى مائة، ولقى الله من المجاهدين خمسة « عصام قدسى، همام الشامى، إسماعيل اليوسف، رامز العيسى، وياسر غنام » وكان ياسر صاحب الرصاصة الأولى والأخيرة فى المعركة.. رحمه الله.

لقد أعاد ذكريات السلف الصالح.. ففى مثل سنه قاد أسامة بن زيد جيشا على عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

وهكذا يمكن أن يولد الإيمان كبيرا. وأن يجاوز سن الإنسان وتجاربه !

(جـ) سالم محمد الحامد :

شاب.. فى ريعان الشباب.. أحسن ما يكون دينا، وخلقا، وعلما.. والده عالم جليل.. ربى جيلا، وأحيا موات أمة... !

ضاق بما يراه من حوله.. من سفك للدم الحرام، من انتهاك للعرض الحرام، من هدم للبيوت بالقنابل والصواريخ، من تعد على بيوت الله ومنعها أن يذكر فيها اسمه، من استخفاف بالله ودينه ورسوله، من تعطيل لشريعة الله وعدوان على حدود الله.. فلم يطق أن يظل بعيدا.. اقترب من ميدان الجهاد..

ودارت بينه وبين المجرمين معركة.. هو وحده فيها.. والله معه، والمجرمون مئات تتزايد إلى آلاف.. بأسلحتهم الخفيفة والثقيلة، وحواماتهم.. ووقف على السلم والمجرمون يصعدون، وكلما تجمع منهم عدد ألقى عليهم قنبلة.. حتى ألقى آخر قنبلة سقط بعدها – بإذن الله شهيدا – وأحصى المجرمون قتلاهم، فإذا هم أربعون، وراحوا يحصون عدد القتلى في الجانب الآخر.. فإذا هو وحده ليس معه من أحد إلا الله الذى يؤيد بنصره وجنده من يشاء: ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ [الأنفال: ١٧].

(د) د. حسن محمد حسين :

ممن أصابهم بغى المجرمين الدكتور حسن محمد حسين أستاذ « الفيزياء النووية » وهو تخصص نادر على مستوى سوريا، بل على مستوى العالم كله..

ومع ذلك لم يفلت من الأيدى المخربة الخبيثة، اعتقلوه، عذبوه، احتجاجات أساتذة جامعة حلب ورئيسها لم تجد شيئا.. ثم..

(هـ) ولم نشأ أن نشير إلى أحداث هتك العرض:

ومن بينها حادثة غفران أنيس الأخت الداعية التى هتكوا عرضها ثم قتلوها وألقوا بجسدها فى طريق مطار دمشق، وليلى الطالبة بمدرسة القبالة التى فعلوا بها ما فعلوه بأختها غفران، وحرم المحامى أحمد موسى الذى قتله المجرمون لأنه لم يرشد عن المجاهدين ثم أمسكوا بزوجته لتدل على المجاهدين فأبت فقتلوا ابنها أمامها، ثم حاولوا الاعتداء على عرضها..!

لكن يكفى أن نشير إلى الرسالة التى نشرتها جريدة الأنباء الكويتية فى ٢٠/٨/١٩٨٠ لأخت سجينة كتبت إلى أمها تحكى كيف أمسك بها اثنان، ومكنوا منها ثالثا ذا شارب غليظ أحنى عليها بكلكله.. فصارت كخروف يمسك به جزار ثم لم يتركها إلا وبها إصابات.. وهى غارقة فى دمائها !!

ثانيا - نماذج جماعية:

١ - مجزرة جسر الشغور (٢٣ ربيع الثانى ١٤٠٠ هـ - ١٠ مارس ١٩٨٠ م). شاركت البلدة المؤمنة سائر البلاد غضبتها على الحكم الدموى الآثم الجاسم على صدر البلاد رغم إرادة أهلها.. بدأت المظاهرات فى الصباح، حدثت صدامات.. فصعدت السلطة الموقف وقلبته إلى ميدان حرب..!

وصلت ١٦ حوامة (طائرة هليوكوبتر)، نصبت المدافع على التلال، أطلقت الصواريخ على البلدة الآمنة.. لا تفرق بين رجل، وشيخ، وامرأة وطفل!

بدأ الأهالى يقاومون السلطة الباغية، ووقع الصدام الأول بالمنطقة الشمالية فقتل من الوحدات الخاصة ١٦ عنصرا، ثم توجه ألف من الوحدات الخاصة لاحتلال منطقة السوق، فدارت معركة بين الشعب الأعزل والقوات الخاصة المدججة بكل أنواع السلاح، واستخدمت قذائف (R. B. G.) والقذائف الفسفورية الحارقة - وكان حصاد المعركة غير المتكافئة:

١٠٠ قتيل بين طفل، وشيخ، وامرأة ورجل.

١٠ جرحى.

١٠٠ معتقل.

هدم وحرق ٤٠ دكانا.

وكان من بين المناظر المتوحشة الدامية:

– طفل عمره ٦ شهور شق جسمه نصفين أمام أمه التى ماتت لفورها. وطفل صغير أرادوا قتله فارتمت أمه فوقه لتحميه فقتلوها بالرصاص.

٢ – مجزرة سجن تدمر (٢٧ / ٦ / ١٩٨٠):

فى اليوم التالى لمحاولة اغتيال حافظ الأسد توجه شقيقه رفعت الأسد على رأس قوة من سرايا الدفاع والوحدات تحملها اثنتى عشرة طائرة «هليوكوبتر» وهبطت عند سجن تدمر الصحراوى حيث يوجد آلاف من خيرة شباب سوريا دينا، وعلما، وخلقا.. وجمع المعتقلون، وصرف الحراس، وأطلقت القوات المحاربة الرصاص على الأسرى العزل السجناء.. فسقط حوالى ١٨٥٠ شهيدا.. غير من سقط من الجرحى – وقد شوهد رفعت الأسد وهو يطلق الرصاص بنفسه من الطائرة.

وبعد انتهاء المعركة التى لا يحمل السلاح فيها إلا طرف واحد، قامت السلطة الباغية بحفر حفرة ألقت فيها القتلى، ثم الجرحى، ودفنت الجميع !!

٣ – مظاهرة النساء فى حلب (٦ / ١١ / ١٩٧٩):

انطلقت لأول مرة – مظاهرة نسائية (٢٠٠) من زوجات المعتقلين وذويهم تنادى أن يفرجوا عن المعتقلين، وانطلقت قوية شامخة تهتف وتصرخ:

الإسلام يذبح.

الإسلام يئن.

استيقظوا يا مسلمون.

وحاول رجال الأمن منع المظاهرة من دخول دار الحكومة لكن المتظاهرات أصررن على الدخول وتصدى لهن مسئول يسألهن عن مطالبهن..

فقلن: الإفراج عن المعتقلين، فسأل عن أسمائهن وأسماء المعتقلين فأبين فسألهن: تردن الإفراج عن المجرمين من أمثال حسين عبود؟

فأجبن: إنكم تعتقلون أطفالنا الصغار.

فقال: ومن ينفذ العمليات إلا الصغار؟

فقلن له: والرهائن؟ – فسكت ودخل غرفته.. ولم يجب وتركهن لقوات الأمن تفرقهن بالقوة.

٤ – مأساة حماة:

ولم تعد حماة بحاجة إلى كتابة.. لقد سطرت بأبنائها أروع ملاحم الجهاد، وسطرت على الظالمين أقسى مجزرة فى التاريخ الحديث..

لقد قتل فى حماة حسبما تواتر من الروايات ثلاثون ألف نفس.. بغير حق إلا أن قالوا ربنا الله.. وصدرت كتابات وكتب عن هذه المجزرة.. ولا تزال فى حاجة إلى مزيد.. ونحيل إلى هذه الكتابات والكتب.. ومعها صور فوتوغرافية لهذه المأساة[١].

* *

٧ – فى المجال السياسى – لا تزال خيانة الجولان.. الذى كوفئ عليها وزير الحربية بمنصب رئيس الجمهورية، ولا يزال الإعلان عن سقوط القنيطرة قبل دخول اليهود بواحد وعشرين ساعة، ولا تزال الاتصالات المشبوهة بشاوشيسكو فى مجال البحث عن الصلح، ولا يزال إعلانهم عن قبولهم الصلح الشامل دون الصلح المنفرد كل ذلك يدل على حقيقتهم التى يحاولون إخفاءها تحت شعار «الرفض».

● المستقبل فى سوريا:

نحسب أنه بعد أن بدأ شعب سوريا المسلم يحس خيانة البعث وافتراءه وعمالة النصيرية وتآمرها المتصل. نحسب بعد أن عرف طريق الجهاد الصحيح لهذا الكفر البواح[٢] نحسب أن الله ناصره ومحق الحق ولو كره الكافرون.

* * *

---

(١) نسجل هنا استغلال النظام القائم لمأساة حماة ليرمى بآثارها على المجاهدين، وقد نجح إلى حد ما ومع كثافة الإسلام فى ذلك، كما نسجل أنه كان من النتائج المرة لهذه المأساة انقسام فى صفوف المجاهدين!

(٢) ونحذر من نتائج الانقسام الذى حدث بعد مأساة حماة أنه ضد الجهاد ولصالح الكفر الحاكم!

جمهورية مصر العربية

المبحث الثالث

مصـــر

لمصر أكثر من أهمية.. لذا يتهددها أكثر من خطر. فلئن نظرنا إلى موقعها فهى تتوسط قارات العالم الثلاث: أوربا.. أفريقيا.. آسيا، وتطل من شمالها على أوربا لا يفصل بينهما سوى مياه البحر الأبيض المتوسط، وتطل من شرقها على آسيا إذ تدخل شبه جزيرة سيناء فى حدود آسيا، ويفصلها عن الجزيرة العربية خليج العقبة ومياه البحر الأحمر، وتطل من جنوبها وغربها على إفريقيا القارة السوداء التى يتهددها أكثر من خطر.. وهى إلى جانب ذلك تتحكم فى تجارة أوربا إلى أفريقيا وآسيا عن طريق قناة السويس التى تمر فى أرضها، فضلا عن شواطئها الطويلة شمالا على البحر الأبيض المتوسط وشرقا على البحر الأحمر.

ولئن نظرنا إلى مناحها.. فإنها الأرض التى لا تغيب عنها الشمس.. مع اعتدال جوها بين البرودة والحرارة، فضلا عن أنها تجمع بين المصايف فى شمالها والمشاتى فى جنوبها وشرقها.

ولئن نظرنا إلى ثرواتها.. فإنها إذا رزق الله مسؤوليها الإخلاص فإنها من أخصب بقاع العالم زراعيا، حيث تتوفر لها التربة، ومع التربة الماء، إذ يجرى فيها أحد أطول الأنهار فى العالم (نهر النيل) ويمدها مع الماء بالخصب والنماء حيث يحمل مع مياهه «الغرين» الذى يمثل سمادا طبيعيا للأرض يزيدها قوة وخصبا[1]. ويذكر أنه من الناحية التاريخية كانت أرض مصر على عهد الرومان يزرع منها ٩٥٪ من مساحتها.

ومصر ليست زراعية فحسب إنما يمكن أن تكون بلدا صناعيا من الدرجة

---

(١) منذ نهاية بناء السد العالى احتجزت خلفه الكمية الضخمة من الغرين التى كانت تسبب خصوبة الأرض، وهو ما يتهدد السد العالى نفسه لعلو الأرض خلفه، وهكذا كان للسد العالى هذان الأثران السيئان إلى جوار ما يعدده الخبراء من آثار سيئة!

الأولى بالنظر إلى وفرة المواد الخام من جميع أنواع المعادن، وأكثرها تتركز فى شبه جزيرة سيناء[١].

فضلا عن توفر الأيدى العاملة بسعر أرخص بكثير من المستوى العالى للأجور مع اعتدال الجو الذى يساعد على قيام كثير من الصناعات.

أما رأس المال وما يلزمه.. فإنه يمكن أن يتوفر لو كفت الأيدى العابثة التى تمتص عرق الشعب، وتدفع به وتريقه على موائد القمار وعلى أقدام الراقصات والعاهرات.

ولئن نظرنا إلى شعبها فإننا نجده يتميز بما يلى:

١ – إقباله السهل على الإسلام فيما لو وجد القدوة الصالحة، وعدم اصراره على المعصية أو الكبيرة كما تفعل شعوب أخرى: ﴿ **قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ [النمل: ٥٦].

٢ – وقوفه السريع والعاطفى والمتكتل وراء الحاكم.. إن وجد فيه الصلاح، وانصرافه عنه فى سلبية قاتلة إن وجد فيه الخداع، مع النكتة اللاذعة يطلقها تقض مضجع الظالم، وتكشف عن ذكاء الشعب المظلوم.

٣ – استعداده للتضحية بالمال والنفس لو وجد سبيله إلى الاقتناع العاطفى والعقلى مع استعداده للصبر الطويل على كل الأوضاع، والجندى المصرى من أكفأ جنود العالم، وقد قيل إبان الحرب العالمية الثانية: أن الجندى الألمانى يساوى ثمانية من الجنود الإنجليز، والجندى المصرى يتفوق بالضعف على الجندى الألمانى، ومعنى ذلك أن الجندى المصرى يساوى ستة عشر جنديا إنجليزيا.

ولقد أثبت جهاد شباب مصر المسلم إبان حرب القتال وفلسطين أن الواحد منهم بخمسين أو مائة من الأعداء[٢].

---

(١) أشرنا من قبل أن مصر تسبح فى بحيرة من البترول تحرص المصالح اليهودية والصليبية على عدم الكشف عنها الآن.

(٢) راجع مذكرات كامل الشريف عن حرب فلسطين تحت عنوان «الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين» ومذكرات الأخ حسن دوح عن حرب القنال.

٤ – الوفرة العددية لشعب مصر (٧٢ مليونا) مع الاستعداد للاستمرار فى التزايد، فبرغم دعاوى تحديد النسل التى تشكلت تحت أسماء عديدة، وقامت على تشجيعها وزارات وهيئات رسمية، فلا يزال تناسل الشعب المصرى يتكاثر، ولو أطلق له حرية التناسل، وكان مع ذلك شيء من الرخاء الاقتصادى، فضلا عن مبادئ الإسلام وخلقه.. لأقبل الشباب على الزواج فى سن مبكر ولتضاعف عدد الشعب أضعافا كثيرة وهذه لها أكثر من فائدة. فهى تعطى الشعب القدرة على الاستمرار فى الحروب.. مع إحاطة الأعداء به من كل جانب.

وهى تعطى عاملا اقتصاديا ضخما يساعد على وفرة الإنتاج ورخصه، فضلا عما تعطيه من الأهمية الأدبية للشعب المصرى وسط شعوب المنطقة.

ومما لا شك فيه أن زيادة السكان تعتبر من أقوى أسس القوة والنماء فى العالم الإسلامى عامة وفى مصر خاصة، وهذه الزيادة تخيف أعداء الإسلام، ومما يقدم لنا صورة عن زيادة السكان فى مصر وتأثيرها فى موقف الدول المعادية للإسلام منها الرجوع إلى ما ذكره باول شمتز إذ يقول: «بعد ثلثمائة سنة سيصبح سكان مصر حوالى ٥٠٠ مليونا وبعد ٤٢٥ حوالى ٢ مليارا، أى أنه سيكون فى مصر أعداد من البشر تساوى ما هو موجود الآن على ظهر الأرض. وسيصبح فى مصر فى مدى ٩٦٨ أى أقل من ألف عام بقليل أمة تعدادها ٩٧٣ مليارا من البشر أى ستنمو بشريا إلى درجة لا تمكنها فقط من استعمار الكرة الأرضية بل من استعمار أعداد من الكواكب الأخرى»(١).

ودعاوى الندرة الاقتصادية وعدم قدرة الموارد الموجودة على مواجهة الانفجار السكانى، هذه الدعاوى ساقطة – علميا – بما قدمنا من وفرة الموارد لولا أنها لا تستعمل أو تستغل وتذهب إلى غير الشعب.

كل هذه العوامل أو بعضها يعطى مصر خطورة وأهمية لا تتوفر لغيرها من شعوب المنطقة، ولذا كانت هدفا لكل أنواع الاستعمار التى عرفها العالم. ابتداء من استعمار الفراعنة القدماء، وانتهاء إلى استعمار الفراعنة الجدد.. مرورا باستعمار الهكسوس والرومان، والفرنسيين، والإنجليز، واليهود.

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية تأليف باول شمتز ترجمة الدكتور محمد شامه ص ٢٠٣ .

لكن برغم ذلك، فقد ثبت أن مصر مقبرة الغزاة، وأنها – كما قيل – كنانة الله فى أرضه.. فقد خرجت من ذلك كله سليمة العقيدة فى مجموعها، حريصة وفية لدينها ومثلها، وعرف الناس – وإن لم يدرك بعض الحكام – أن الخداع وإن انطلى على الشعب فترة، فإنه لا يطول، وأن الاستبداد وإن عاش حينا فإنه لا يدوم، وأن الكفر والفسوق وإن تمكن دهرا فإن الشعب لا يلبث أن يلفظه ويدوسه.. وفى الفراعنة القدامى والجدد، وفى الغزاة المستعمرين قديما وحديثا.. عبرة لمن أراد العبرة، وتذكرة لمن تنفعه الذكرى.

● **تاريخ قديم وحديث:**

وعمر الشعب المصرى، أو عمر حضارته – كما يحلو للبعض أن يتشدق به – ثلاثة آلاف سنة بالنظر إلى أجداده الفراعنة، والمعروف البديهى أن التفاخر بالفرعونية وغيرها من النعرات الإقليمية كانت إحدى النعرات التى أطلقها الاستعمار الصليبى فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى، وهى دعوى باطلة لكنا نعتبر ما قبل الإسلام جاهلية.. بلغت حد عبادة الفراعنة، وحد استخفاف أحد الفراعنة أن يقول: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ** ﴾ [النازعات: ٢٣] أو ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾ [القصص: ٣٨] أو ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ [غافر: ٢٩] الأمر الذى تجدد فى العصر الحديث حين ارتدت مصر إلى شىء من الجاهلية، فقال أحد فراعينها الجدد: «أنا خلقت فيكم الحرية، وخلقت فيكم الكرامة».. ذلك المخلوق التافه يخلق، فماذا ترك للخالق؟؟

ونعتبر بميزان الله أن الميلاد الحق لهذا الشعب منذ الفتح الإسلامى على عهد عمر بن الخطاب حين توجه جيش عمرو بن العاص المظفر إلى أرض مصر.. ففتح القلوب بالقرآن قبل أن يفتح البلاد بالسيف، ودخل شعب مصر – طواعية واختيارا – فى دين الله أفواجا، ورأى الفارق الضخم بين حكم الرومان وتعسفهم، وحكم الإسلام وعدله ورحمته حتى لقد كان النصارى يفرون من حكم الرومان – وهم أهل دينهم – إلى حكم الإسلام، وهو ليس بدينهم.. لما وجدوا فى ظله من رحمة وعدل وأمان..

وبقى من بقى من أقباط مصر على مسيحيته.. لم يكرهه أحد على ترك دينه، بل لم يلق الأقباط فى مصر ما تلقاه أية أقلية فى وطن آخر، والمثل الذى ضربه عمر رضى الله عنه عندما فتح مصر حين شكا إليه أحد أقباط مصر أنه تسابق مع ابن عمرو بن العاص فلما سبقه ضربه ابن عمرو بن العاص، فاستدعى عمر الحاكم عمروا ، وابنه، وعلى ملأ من الناس قال للقبطى: اضرب ابن الأكرمين، وقال عمر الخليفة لواليه عمرو: لو فعلها ابنك مرة أخرى لضربتك أنت.. إشارة إلى أنه ما شجع الابن على ذلك إلا وجاهة أبيه ومكانته..

ووعى الشعب المصرى هذا الحادث ووعى معه قول الله: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨] ووعى أيضا واجب المسلمين فى حماية الذميين بما فعله جند الإسلام قبل معركة اليرموك عندما استعدوا لملاقاة هرقل فانشغلوا عن أهل حمص فردوا ما كانوا أخذوه منهم من الخراج قائلين لهم: قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم فأنتم على ما أمركم. فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم.

وتعرض الشعب المصرى لألوان الغزو قديما وحديثا، طمعا فى خيرات مصر وجوها، أو حربا لدينها وعقيدتها، وكانت كذلك هدفا لحملات الصليب عليها خلال قرون من الزمان.. أعطت فيها مصر نماذج التضحية والاستبسال.. حتى هزم الصليبيون على أرضها فى المنصورة، ثم هزموا على يد أبنائها فى حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبى.

ووضعت مصر بذلك نهاية الخروب الصليبية العسكرية لتتعرض بعد ذلك لألوان من الحروب الأخرى.

وقبلها وضعت مصر نهاية حروب التتار فى عين جالوت، ووضعت مثلا من البسالة والذكاء الحربى كبيرة..

وبعدها كانت معارك مصر مع الاستعمار الفرنسى.. رغم أنها حاربت عزلاء من السلاح، ومن العون من دولة الخلافة وغيرها من بلاد الإسلام، ثم

معاركها مع الاستعمار الانجليزى المتقدم.. كانت كلها نماذج لإخلاص الشعب وحرصه على دينه واستجابة لعلمائه..

وثورة القاهرة على الفرنسيين.. مثلا، ووقفهم الزحف الإنجليزى القادم من الغرب وهزيمة الإنجليز أكثر من مرة فى رشيد وفى كفر الدوار، مثل آخر، ولولا الخيانة من الحكم القائم.. ومن بعض العناصر الأخرى فى الجيش المصرى.. لاستطاع القائد المسلم أحمد عرابى أن يصد الغزو الإنجليزى الفاجر عن أن يطأ أرض مصر.

ولقد بدأ تاريخ الاستعمار الإنجليزى سنة ١٨٨٢، وأعقب بعد دخوله بسنة واحدة إقصاء الشريعة الإسلامية عن التطبيق، وظل الاستعمار الإنجليزى يحاول تغريب مصر فى لغتها، وفى قيمها ومثلها، فكان نصيبه على العموم الفشل.. وإن خلف وراءه عملاء يؤدون نفس دوره، وسوف نشير إليهم بعد قليل. ورحل الاستعمار الإنجليزى عن أرض مصر سنة ١٩٥٦ بعد أكثر من سبعين عاما من الاحتلال العسكرى المصحوب بحرب العقيدة والفكر في مصر.

● **صناعة الانقلاب العسكرى والخط اليهودى النصرانى:**

لم يعد خافيا بعد ما نشر من كتابات رجال المخابرات الأمريكية المركزية ومن الوثائق الأخرى التى صدقتها الأحداث[١]. وبعد ما شهد به رجال ثقات نثق فى أمانتهم وصدقهم[٢]، لم يعد خافيا أن الانقلاب العسكرى الذى تم فى مصر سنة ١٩٥٢ كان انقلابا لصالح اليهود والنصارى فى مصر.

وبيان ذلك أن اليهود أدركوا منذ قدموا أرض فلسطين أن الخطر الأكبر عليهم هو من أكبر قوة فى المنطقة.. قوة الشعب المصرى الملاصق لأرض فلسطين،

---

(١) راجع كتاب مايلز كوبلاند «لعبة الأمم» وكتاب هيئة المخابرات المركزية لمؤلفه «اندرو توللى» فكلاهما يدل على أن الولايات المتحدة قد شجعت جماعة من الضباط ذوى الطموح إلى تدبير انقلابات عسكرية بالبلاد العربية مقابل تعهدهم بمهادنة إسرائيل.

راجع الوثائق التى أشرنا إليها سابقا.

(٢) منهم اللواء معروف الحضرى -- أحد أبطال حرب فلسطين عام ١٩٤٨ -- رحمه الله.

فلو استطاعوا أن يخضعوا هذا الشعب وأن يطوعوه للنفوذ اليهودى.. لتخلصوا بذلك من أكبر خطر على وجودهم فى فلسطين.

وتأكد الخط اليهودى فى الانقلاب المصرى بأكثر من دليل:

١ – ما صرح به اللواء معروف الحضرى – رحمه الله – من أنه شاهد جمال عبد الناصر يخرج من خطوط الحصار فى الفالوجة – أكثر من مرة فى منتصف الليل – ليدلف فى سيارة يهودية داخل الخطوط اليهودية.. ليجتمع مع اليهود، بغير علم قيادته، ثم يعود مع خيوط الفجر.

٢ – ما احتفظ به اللواء معروف الحضرى – رحمه الله – من مستند بخط جمال عبد الناصر كان قد وجهه إليه أثناء أسر الحضرى يطلب فيه التعاون مع ضابط المخابرات اليهودى «كوهين» الأمر الذى رفضه معروف الحضرى أسكنه الله فسيح جناته[١].

٣ – ما صرح به مؤسس إسرائيل – بن جوريون – فى الكنيست، قبل وقوع الانقلاب العسكرى المصرى من أن انقلابا سوف يحدث فى مصر ولن نكون – أى اليهود – أقل فرحا به من المصريين[٢].

---

(١) مذكرات اللواء معروف الحضرى – تحت الطبع – وبها الوثيقة المشار إليها بخط يد عبد الناصر المعروف لكثيرين – فقد أعطى عبد الناصر وهو محاصر بالفالوجة لضابط المخابرات الإسرائيلى «كوهين» خطاب توصية يتقدم به الكابتن كوهين لمعروف الحضرى الأسير وقتئذ أملا منه فى التعاون معه. وقد أسر معروف الحضرى وهو فى طريقه لتوصيل الإمدادات للفالوجة بقافلة عبر بها خطوط الأعداء.

(٢) ذكر «هارى هوبكنز» فى كتابه المنشور فى بريطانيا عام ١٩٦٩ أن ناصرا كلف اثنين بترتيب لقاء بينه وبين موسى شاريت رئيس وزراء إسرائيل عام ١٩٥٤ وهما سفير الهند فى مصر، ودوم منتوف رئيس جمهورية مالطة وزعيم حزب العمل بها. كما أعطى ناصر فى نفس العام أيضا خطابا بخطه إلى عضو البرلمان «موريس أورباخ» لتوصيله لموسى شاريت. وفى نفس العام أيضا أصدر عبد الناصر كتاب «فلسفة الثورة» الذى جاء حاليا من الدعوة لحمل السلاح ضد إسرائيل.
كما ألف «دافيد هولدن» الصحفى البريطانى كتابين عن عبد الناصر ذكر فى أحدهما أنه كان وسيطا بين عبد الناصر وبن جوريون وكان يتنقل بين منزل كل منهما حاملا الرسائل والرد عليها. وقد قتل هولدن بمجرد وصوله للقاهرة قادما من القدس بعد أن حضر زيارة السادات فى نوفمبر ١٩٧٧ وتم العثور على جثته فى مدينة نصر بالقاهرة تنفيذا لمبدأ: «الموتى لا يتكلمون» =

٤ – ما ذكره « مايلز كوبلاند » من اتصال المخابرات المركزية بجمال عبد الناصر قبل الانقلاب وما ركز عليه من أن الانقلاب العسكرى لا يعتبر اليهود عدوه الأول بل يعتبر المصريين من رجعيين وملكيين وأحزابهم عدوه الأول.

وهذا أمر تأكد عندما صدر البيان الأول للانقلاب خاليا من الحديث عن فلسطين أو اليهود.

٥ – ما مارسه الانقلاب العسكرى المصرى من حرب الإبادة والسحق للجماعة الإسلامية التى حملت على عاتقها عبء الدعوة فى مصر منذ نصف قرن، والتى حملت عبء الجهاد الحق فى فلسطين ضد اليهود.. ليبقى الشعب المصرى – بعد القضاء على الجماعة – بغير حصانة إسلامية جدية تستطيع الوقوف فى وجه الزحف اليهودى.

فلقد ذاقت الجماعة المذكورة فى عهد الانقلاب العسكرى المشؤوم القتل والتعذيب والتشريد، وحرب السحق والإبادة بلا رحمة ولا هوادة مرتين، مرة سنة ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ قبل الهجوم اليهودى سنة ١٩٥٦ بسنة واحدة، ومرة سنة ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ قبل الهجوم اليهودى سنة ١٩٦٧ كذلك بسنة واحدة. وأخيرا عام ١٩٨١ مع غيرها من الجماعات الإسلامية وذلك مع معاهدة كامب ديفيد، وقبل العدوان على أرض لبنان كذلك[١]..

= ذلك أن الرجل كان يعلم أكثر من اللازم عن ثورة ٢٣ يوليو باليهودية العالمية التى أثمرت فيما بعد كلا من كامب ديفيد واتفاقية واشنطن.

هذا وقد صرح أمين شاكر – وزير السياحة المصرى السابق ومدير مكتب عبد الناصر فى أول الثورة – فى أهرام الجمعة ١٦ ديسمبر ١٩٧٧ أن عبد الناصر قام باتصالات سرية مع إسرائيل دون علم مجلس الثورة، وأن لديه وثائق هامة فى هذا الشأن وأن الصحفى المعروف محمد حسنين هيكل كان وسيطا فى بعض الاتصالات. وقد أدلى أمين شاكر بهذه التصريحات للأهرام فى معرض دفاعه عن زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ يذكره أن لديه وثائق بخط عبد الناصر توضح أنه فعل سرا ما فعله خليفته علنا.

(١) وجهت صحيفة « يدعوت أحرونوت » الإسرائيلية المعروفة اللوم للتليفزيون الإسرائيلى لتسرعه فى إظهار عواطفه المؤيدة للمسيحيين فى لبنان ضد المسلمين.. فقد حذرت الصحيفة من انعكاس هذا الأمر على المسلمين بحيث يعودوا لإسلامهم.. واعترفت الصحيفة أن إسرائيل مارست ضرب الحركة الإسلامية خلال الثلاثين عاما الماضية عن طريق أصدقائها فى العالم العربى. =

٦ – ما وضح من خلال الحربين اللتين خاضهما الانقلاب ضد اليهود (١٩٥٦)، (١٩٦٧) وصاحب كلا من هاتين الحربين كل مرة الانسحاب، ومع الانسحاب الهزيمة لأكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط ومع الانسحاب والهزيمة كسبت إسرائيل سبعة أضعاف مساحتها سنة ١٩٤٨ .

ما وضح خلال ذلك كله، وبالرغم من أن القيادة كانت تجمع بين كونها سياسية وعسكرية بخلاف الوضع فى عهد الملك السابق.

نقول: إن ما وضح من خلال ذلك كله هو أن الحرب لم تكن جدية، وأنها يشوبها شك كبير فى خيانة مقصودة لتمكين اليهود من الأرض، واضفاء شرعية الكسب عن طريق الحرب لليهود. ثم ما ينتج عن ذلك كله من فقدان العرب الأمل فى كسب حربى لهم، إذا كانت أكبر قوة ضاربة عاجزة عنه[١].

= وأضافت الصحيفة أنه إذا لم تنجح إسرائيل فى هذه العملية (تعنى القضاء على الجماعات الإسلامية فى بلدان المواجهة بالذات) فإنها ستواجه عدوا حقيقيا لا وهميا.. وعدوا يعتقد أنه يدخل الجنة إذا قتل يهوديا أو قتله يهودى.

(مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٩ الصادر فى الثلاثاء ٧ ذى الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ٧ نوفمبر ١٩٧٨ م ص ١٨ ، ١٩).

واعترافات صحيفة «يدعوت أحرونوت» تقدم تفسيرا واضحا ليس فى حاجة إلى تعليق لما حدث للجماعات الإسلامية فى كل من مصر وسوريا والأردن ولما ينتظرهم حاليا على أيدى أصدقاء إسرائيل فى دول المواجهة، فقد كشفت «يدعوت أحرونوت» الخطة وهى: حارب الإسلام فى بلدك تكسب صداقة اليهود.

هذا بالإضافة إلى اعتراف محمد حسن التهامى نائب رئيس الوزراء برئاسة الجمهورية حاليا وأحد أعضاء خلية عبد الناصر ذاته فى تنظيم الضباط الأحرار فى عدد روز اليوسف رقم ٢٦٠٣ صفحة ٧ بأن خبيرا أمريكيا اقترح اختلاق محاولة لإطلاق النار على عبد الناصر – الأمر الذى يثبت أن حادث المنشية الذى اتخذه عبد الناصر ذريعة للفتك بالإخوان المسلمين عام ١٩٥٤ – كان حادثا مفتعلا على نمط حريق الريغستاغ الذى تذرّع به هتلر للبطش بسائر الأحزاب السياسية فى ألمانيا. وبذلك شهد شاهد من أهلها.

(١) ثبت تاريخيا من شهود العيان الذين ما زال بعضهم أحياء يرزقون أن الذى أصدر الأمر بانسحاب القوات المصرية فى سيناء فى حربى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ هو عبد الناصر شخصيا، وقد عارضه اللواء عبد الحكيم عامر فى حرب ١٩٥٦ فى إصدار أمر الانسحاب، فلما أمر عبد الناصر بعث عامر ببرقية الانسحاب إلى قيادات الوحدات بالصيغة التالية: «بناء على أوامر الرئيس جمال عبد الناصر تنسحب.....». =

الأمر الذى يشيع اليأس فى قلوب العرب والمسلمين، ويدفعهم إلى التسليم بالأمر الواقع فى قبول وجود إسرائيل فى المنطقة رغم عدوانها واغتصابها لأرض فلسطين.

= أما فى حرب ١٩٦٧ فقد شهد التهامى – وهو شاهد من أهلها كما أوضحنا آنفا بما نشر فى عدد الأهرام رقم ٣٣١١٠ بتاريخ ٥ / ١١ / ١٩٧٧ كمذكرات تاريخية له – أن عبد الناصر اعترف له شخصيا بأنه أمر المشير عبد الحكيم عامر بالطيران صباح ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ومعه طاقم القيادة ليتوجه إلى الميدان ليتفقد القوات رغم توفر معلومات شبه مؤكدة لديه بأن الطيران الإسرائيلى سيضرب ضربته فى هذا الوقت بالذات، فنجم عن ذلك تعطيل شبكات الدفاع الجوى بأوامر من القيادة خوفا على طائرة المشير، كما اعترف عبد الناصر أيضا لنفس الشاهد بأنه هو الذى أمر بانسحاب القوات من سيناء مثلما فعل فى حرب ١٩٥٦.

وقد فسر رائد عطار فى عموده اليومى بالأهرام الصادر فى ١٧ / ١٢ / ١٩٧٧ تصرف عبد الناصر المريب فى حرب ١٩٦٧ بأن عبد الناصر دبر المذبحة لجيش مصر بعد اطلاعه على تقارير أمنية تفيد عزم القوات المسلحة المصرية على عزله من منصبه نتيجة لتورطه فى اليمن وبعد فقدانه السيطرة على مجموعة المشير عامر التى سيطرت على الجيش سيطرة كاملة، وكان العقيد شمس بدران من أبرز شخصيات مجموعة المشير إذ كان تنظيم أمنى داخل جميع الوحدات المقاتلة بعلم المشير. وقد انكشف المخطط الناصرى بعد الهزيمة النكراء فكان لا بد من التخلص من المشير بقتله لأنه إذا حوكم سيروى للتاريخ المسؤول الحقيقى عن ضياع الجيش المصرى فى صحراء سيناء فى يونيو ١٩٦٧. وجدير بالذكر أنه كان من المخطط مقال افتتاحى نشره هيكل رئيس تحرير الأهرام ومستشار عبد الناصر فى الصفحة الأولى بالأهرام أن مصر لن تضرب الضربة الأولى فكان دعوة للجيش للاسترخاء.

وكتب الأستاذ محمد الطويل فى كتابه «لعبة الأمم وعبد الناصر» ص ٤٤ يقول:

«وأحد هذه الفصول خاصة بعبد الناصر. فقد ذكر محمد حسنين هيكل الكاتب والصحفى اللصيق بعبد الناصر منذ هذه الحرب فى إحدى رواياته عنه: أنه خلال حرب ١٩٤٨ – أى حرب فلسطين – وحصار الفالوجا كان عبد الناصر يتحدث عبر خطوط الجبهة مع الإسرائيليين المحاصرين للفالوجا. وكان الحديث يدور حول الكيفية التى أجبرت بها بريطانيا على التخلى عن انتدابها على فلسطين. وعند هذا الحد، توقف هيكل فى روايته.. ولكن ماذا بعد؟!

كان الصاغ عبد الناصر حينذاك أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة ضمن القوات المحاصرة فى بلدة عراق المنشية قطاع الفالوجا وقد فوجئ زملاؤه من الضباط بوصول برتقال إليهم. وقد تصور أحدهم وهو اليوزباشى حسن التهامى بأنها تأتى من القوافل التى كانت تهرب إليهم المؤن. وعندما وصلته إحداها دفعه فضوله إلى السؤال عن مصدرها. فرفع سماعة التليفون الميدانى متحدثا مع إبراهيم بغدادى مساعد ضابط مخابرات اللواء المشاة بالفالوجا – ومحافظا للمنوفية وللقاهرة فيما بعد – وسأله عن مصدر هذا البرتقال قائلا: لقد جاءتنى برتقالة ولا يوجد عندنا =

. . . . . .

= فى الفالوجا برتقال. فكيف جاءت إلى هنا؟! فرد عليه إبراهيم بغدادى ببساطة بقوله: أبدا.. أتت من عند عبد الناصر.

فعاد التهامى بسأله: ولكن لا يوجد برتقال فى قطاعه !

فعاد البغدادى مجيبا بقوله: أنها قد أتت إلينا من ايجال يادين رئيس أركان جبهة جنوب فلسطين.. على السلك.

فسأله التهامى: كيف؟

فرد عليه إبراهيم بغدادى قائلا: أن ايجال يادين يبعث أقفاص البرتقال وعلب الشيكولاتة إلى جمال وهم أصدقاء ويعرفوا بعض. ويبعث جمال عبد الناصر برجاله إلى السلك ليأخذوا البرتقال ثم يقوم بتوزيعه علينا ثم نقوم بدورنا بتوزيعه من قيادة اللواء على الضباط، وكل واحد يحصل أو تاتى إليه برتقالة واحدة.

وقد أشار حسن التهامى إلى هذه الواقعة حيث أعلن عندما التقى بصفته نائب رئيس وزراء بايجال يادين نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى على مائدة المفاوضات أثناء زيارة الرئيس السادات للقدس عام ١٩٧٧ فقد تجالسا الاثنين متجاورين بحكم منصب كل منهما فى بلاده ولم يفت عليه سؤال ايجال يادين عن هذه الواقعة، فسأله: هل كنت ترسل برتقال وشيكولاتة إلى عبد الناصر فى الفالوجا عام ١٩٤٨ ؟؟

فرد عليه ايجال يادين بقوله على الفور: نعم.

فسأله التهامى قائلا: لماذا.. وكيف ذلك؟!

فرد عليه يادين وتبدو عليه علامات الاستنكار لهذا التساؤل وأجاب بقوله: لماذا تندهش.. فعبد الناصر كان صديقى الشخصى وتربطنى به علاقات أخوة وأعرف طباعه وعاداته وما يحبه وما لا يحبه وأنا أعرف عنه أنه يحب الشيكولاتة والبرتقال. وكان البرتقال يتوافر عندنا فماذا يمنع من الإرسال لصديقى ما يحبه !!

فزادت هذه الإجابة من دهشة حسن التهامى الذى عاد يسأله بقوله: وهل كان صديقك قبل حرب ١٩٤٨ ؟

فيرد عليه يادين مبتسما فى النهاية: نعم.. وأعرفه معرفة جيدة.

وحيث أن المفاوضين حول المائدة، فلم يكن هناك مجال للاستطراد فى هذا الحديث الجانبى فاكتفى كل منهما بالحديث عند هذا، حيث كان على الجميع أن يشاركوا فى إعداد البيان السياسى الذى سيصدر عن هذه الزيارة التاريخية للقدس.

وعندما كانت هذه الواقعة فى أثناءها فإنها لم تتصور لديه – كما يقول – بأن للأمر عمقا أو بعدا آخر.

ولكن عندما أكد له ايجال يادين أثناء مبادرة القدس دلالة هذه الهدية من البرتقال والشيكولاتة بأنها تحمل معنى الصداقة والأخوة، فإن حسن التهامى يرى أنه وجد الإجابة التى كان =

= يبحث عنها منذ سنوات طويلة، فيعلق على ذلك قائلا: أن معرفة الإنسان بطباع آخر يعنى أن هناك معاشرة أو تعارف طويل من قبل، وليس من المنطق أو المعقول أن يكون ذلك وليد يوم وليلة أو مقابلة سرية أو تعارف أثناء القتال، وإلا كيف يعرف يادين بحب عبد الناصر للشيكولاتة؟! إنه قد أكد ذلك فى حديثه معى أيضا. ولم ينكر، بل إنه بدا وكأنه يفاخر بهذا !!

ويستدرك التهامى فى تعليقه بقوله: وإذا كانت هناك مثل هذا النوع من الصداقة بين رأس الحكم فى مصر وهو عبد الناصر وبين قائد إسرائيل أو غيره.. فماذا يعنى ذلك؟؟

يجيب التهامى على تساؤله قائلا: إذا كان القائد المصرى بهذه الخلفية أو هذه الصداقة فهل مؤدى هذا موقف أو علاقة ما أو على أحسن الفروض.. أن يكون هناك نوع من التفاهم !!

ثم يضيف بقوله: فإن أبسط النتائج المترتبة على هذه الصداقة أو هذه العلاقة هى عدم اللجوء إلى القوة مع الصديق، إنما الأقرب للمنطق وطبيعة الأمور فى تلك الحالة هو أن يكون التفاهم وسيلة أولى فى علاقتهم، وبذلك يمكن الوصول إلى حل أى مشاكل.. بدلا من الحرب.

هذا... وإذا كانت هذه الواقعة على لسان أحد شهودها.. فهناك رواية أخرى تروى أنه أثناء احتدام المعارك فى حرب ١٩٤٨ وقبل الاتفاق على الهدنة فقد تمت لقاءات أولية بين ايجال آلون وضابط إسرائيلى آخر هو بروحام كوهين وبين الصاغ جمال عبد الناصر الذى كان حينذاك ضابط العمليات فى الكتيبة السادسة التابعة لسلاح المشاة المصرى والتى كانت محاصرة فى الفالوجا. وكان عبد الناصر يتزعم فى ذلك الوقت حركة الضباط الأحرار. وكان آلون قائدا للجبهة الجنوبية إلا أن آلون قدم نفسه لعبد الناصر فى ذلك الوقت باسمه الحركى «يهوشع برجشتاين». ولم يذكر الكاتب هذه الرواية بالمقابل الاسم الحركى الذى تعرف به آلون على عبد الناصر وكذلك زميله الآخر. وفى أحاديثه معهم أبدى عبد الناصر اهتماما بالاستيطان اليهودى فى فلسطين أثناء فترة الانتداب البريطانى.

ثم بعد ذلك استمر بروحام كوهين فى لقائه بعبد الناصر والذى وصل فى ذلك إلى خمسة عشر لقاء. وأما اللقاء الخامس عشر والأخير بينهما فكان فى السابع من سبتمبر عام ١٩٥٠ حيث جاء عبد الناصر فى ذلك الوقت لمنطقة الفالوجا مشتركا فى الوفد الذى يحدد موقع جثث القتلى من الجنود الإسرائيليين فى معارك عام ١٩٤٨ .

ولكن لماذا اختير عبد الناصر ضمن الضباط الذين قاموا بهذه المهمة التى بدت إنسانية؟! والإجابة أنه قد أوعز إلى الشاويش الذى عمل معه على أنه يشير إلى أن عبد الناصر هو الذى يعرف مكان هذ ه الجثث. وقد رافقه فى تلك المهمة حسن صبرى الخولى الذى عينه ممثلا شخصيا له فيما بعد.

وكان اللقاء المشار إليه السابق ضمن لقاءات أخرى تحت مظلة جماعة الكويكرز الأمريكية المشرفة على المعونة الدولية للاجئين الفلسطينيين فى قطاع غزة عامى ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، وكان طابع هذه اللقاءات الظاهر – أى بين الضباط الإسرائيليين والمصريين – يبدو أنها مخصصة لمناقشة =

. . . . . .

= المشاكل المتعلقة بتنفيذ اتفاقية الهدنة وطرق ضمان الهدوء على حدود قطاع غزة وصحراء سيناء، بل رأى البعض بأن واقع الطريقة التى عرضت بها مبادرة السلام المصرية فى القدس يرجع الفضل فيها لاتصالات عام ١٩٤٩ هذه والتى قد أجراها عبد الناصر مع الإسرائيليين تحت ظل الأعمال الإنسانية والبحث عن جثث وقتلى اليهود فى حرب ١٩٤٨ .

أي أن هذا البعض يؤصل مبادرة السلام للسادات لخط سياسى من جانب عبد الناصر قد بدأه وسعى فيه للسلام مع إسرائيل عام ١٩٤٩، ولكن تطور الأحداث أو الظروف عاقت استمرار عبد الناصر من استكمال هذا الطريق، ولكن هذا البعض بهذه الرؤية يرد الفضل للمبادرة إلى عبد الناصر.. منذ عام ١٩٤٩ .

ولكن هل لهذا الفضل أثناء حرب ١٩٤٨ كان له خيط سابق.. أو امتداد لاحق أيضا؟ بالفعل كان له خيط سابق.

فقد روى محمد حسنين هيكل أن والد عبد الناصر الذى يعمل كاتبا بمصلحة البريد المصرية قد نقل من الصعيد إلى الأسكندرية. وقد تزوج هذا الرجل بسيدة من الأسكندرية. ورزق بعبد الناصر. الذى وصل إلى عمر الثمانى سنوات. وأرسل إلى القاهرة لاستكمال تعليمه. وكان يراسل والدته بخطابات ولكنها لم ترد عليه. وفى الأجازة الصيفية عندما ذهب إلى الأسكندرية قيل له أنها توفيت.. فحزن وغضب عبد الناصر وشعر أنه يفتقدها.

وعند هذا الحد من الرواية توقف هيكل عن الاستطراد.. ولكن ماذا بعد القاهرة؟

كان عبد الناصر عندما يرسل إلى القاهرة. كان يقطن عند إحدى قريبات والدته فى حى يقع بين منطقة بين الصورين ومنطقة الخرنفش وهو ما يطلق عليه حى اليهود فى منطقة الموسكى التجارية. وبالتحديد فى رقم (٥) فى حارة خميس العدس بحى اليهود. ومن الطبيعى أن يستمر مع قريبة والدته فى ذلك الحى. عندما نقل والده إلى القاهرة وتزوج بأخرى ولم يطق عبد الناصر الاستمرار مع زوجة أبيه. ومن الطبيعى والحى يهوديا أو الأغلبية من سكانه من اليهود فإن هناك علاقات اجتماعية تنمو مع أقرانه وأصدقاءه وجيرانه منهم وتشتد هذه العلاقات إلى أقاربهم وذويهم أيضا فى أنحاء مصر أو أحياءها الأخرى كحى السكاكينى.

ومن هنا يمكن تفسير علاقة عبد الناصر وايجال يادين وايجال آلون أثناء حرب ١٩٤٨ . حيث استمر عبد الناصر فى الحى المشار إليه حتى رتبة ملازم أول بالجيش المصرى حتى ترك هذا الحى. وهذه العلاقات الاجتماعية بما يمكن أن يدور فيها النقاش والحوار والبحث والتدارس كعمل يشغل ذهن كل طرف أو يمثل طموحاته أو آلامه وعلى ذلك سيكون لدينا من الوقائع الأخرى التى تؤكد أو تفسر استمرار هذه العلاقات بصورة أو بأخرى.. ومدى انعكاسها أو تأثيرها على عبد الناصر عندما تولى حكم مصر.. وسياسته تجاه إسرائيل. =

. . . . . .

= **الخط اليهودى فى الانقلاب العسكرى سنة ١٩٥٢**

أولا: عندما قامت حركة الضباط الأحرار لم تعلن فى أول بيان ثورى لها موقفها من إسرائيل وإن كانت قد أشارت إلى حرب فلسطين فقد أشارت إليها على سبيل الدلالة على فساد الحكم الملكى الذى قامت لهدمه وليس بإشارة عن موقفها الحاضر أو المستقبلى من ثأرها أو إمكان محاولة تصحيح نتائجها. لذلك خلت المبادىء الستة أيضا من ذلك.

ثانيا: إن إجابة عبد الناصر عن السؤال الصحفى فى جريدة الأهرام عما تردد من أن هناك مساعى تبذل لعقد صلح مع إسرائيل غير صادقة وغير واقعية، حيث كانت الاتصالات والعلاقات السرية قد بدأت عقب شهر من قيام حركة الضباط الأحرار، وهذا ما يثير عدة تساؤلات أيضا حول هذه الخطوة المبكرة وتشير إلى أن هناك معرفة أو ارتباط سابق وقبل قيام الثورة على هذه الخطوة المبكرة؟!

وللإجابة عن هذه التساؤلات حول تفسير هذه الخطوة المبكرة فَلْنَعُدْ إلى أحداث وتصريحات الأطراف المعنية فى تلك الآونة.

ففى ١٩ مارس عام ١٩٥٢ وأمام خمسين صحفيا أمريكيا بالقدس وقف دافيد بن جوريون حيث أعلن قائلا: إذا عقدنا صلحا مع مصر فستحذو الدول العربية الأخرى حذوها وقال أيضا: أن موسى أمرنا ألا نعود إلى مصر وما زلنا مقيدين بما أمرنا به.

ثم أشارت الصحف إلى أنه قال: من الواجب علينا أن ننتظر ونترقب وجهة نظر الحكومة المصرية التى يقدر لها البقاء والاستقرار مدة طويلة !! وما أشار إليه بن جوريون وقبل الثورة بثلاث شهور وحيث كان انتظار.. لهذه الحكومة الجديدة.. فقد كانت حكومة الثورة !! وعندما قامت الثورة أدلى دافيد بن جوريون بتصريحات يتمنى فيها النجاح للثورة، وأعلن أن هناك سياسة جديدة للانفتاح على مصر «الجديدة». بل أن بعض الكتاب الإسرائيليين تفاءلوا عندما عرفوا أن جمال عبد الناصر الذى كان على اتصال ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلين فى حرب فلسطين هو أحد رجال الثورة.

كما أنه بمرافقة الرائد حسين حمودة أحد الضباط الأحرار كانا يترددان فى الفترة من عام ١٩٥٠ حتى ١٩٥٢ على زيارة الملحق العسكرى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة فى منزله بالزمالك وهو العميد دافيد ايفان والذى كان يرأسه السفير جيفرسون كافرى خبير الانقلابات العسكرية بالإدارة الأمريكية.

ومن هنا فإن من المرجح أن دافيد بن جوريون كانت لديه معلومة أو أخرى عن مخاض لثورة أو انقلاب فى مصر أحد رجاله الرئيسيين جمال عبد الناصر ذو العلاقات والروابط والصداقات مع ضباط المخابرات الإسرائيليين. وعن ميوله واتجاهاته نحو الحكم.. والسلطة.. وبالتالى محاولة الضغط السريع المتلاحق من خلال الاتصالات الأولى بعد قيام حركة الضباط الأحرار بشهر.. واستعداد هؤلاء الضباط لذلك على الفور، وإن كان هذا الاستعداد قد شابه بعض المناورات الشكلية والزمنية. =

= ثالثا: وأن كانت كل من حكومة الثورة أو حكومة إسرائيل تفضل الاتصال والعلاقة المباشرة بينهما إلا أنهما أيضا يلجأون إلى الولايات المتحدة كطرف ثالث ووسيط بينهما أحيانا.

رابعا: أن هذه الاتصالات السرية كانت تلوح بها حكومة إسرائيل لإفشاء حقيقة حكومة الثورة، وهذه الأخيرة كانت تضع فى حساباتها هذا الأمر.. وإن كان يمكنها فى ذلك الحين ألا تخشى هذا الأمر ولا يغدو ضغطا أو خطرا عليها لو كانت قد اتخذت موقفا حاسما برفض مثل هذه الاتصالات السرية وما ستؤدى إليه.

خامسا: رغم أن حكومة إسرائيل أرادت الاتصال السرى بالقيادة الثورية فى ذلك الحين ولا سيما ما يبدو منها كقيادة حاكمة، إلا أن عبد الناصر قد سعى من خلال عبد الرحمن صادق إلى الانفراد بهذه الاتصالات، وذلك لتطويعها واستثمارها لخدمة أهدافه الخاصة والشخصية نحو الزعامة والسلطة من خلال أهداف تبدو عامة وجماهيرية كطلبه مساعدة إسرائيل فى الضغط على الولايات المتحدة وهذه بدورها للضغط على بريطانيا لتحقيق الجلاء العسكرى عن مصر.

سادسا: أن مطالب عبد الناصر كانت تأخذ شكل المناورات لتحقيق أهدافه الخاصة.. إزاء عجالة أو لهفة وشغف الحكومة الإسرائيلية نحو تحقيق سلام مع مصر.

سابعا: أن طلبه لمساعدة إسرائيل لحث الولايات المتحدة على الموافقة على تسليح مصر يعنى بالدرجة الأولى، أن هذا التسليح لم يكن موجها لإسرائيل وإلا لن يطلب ذلك وهى تعى هذا فى ذلك الوقت، إنما كان هذا التسليح الهدف منه هو تعزيز وتقوية جيشه الذى يرسى الحكم الجديد ويحمى نظامه الجديد ولا سيما عندما يتولى السلطة.

ثامنا: وإذا كانت هذه الاتصالات السرية قد ضمت أول رئيس جمهورية لمصر وجمال عبد الناصر القائد الفعلى لحركة الضباط الأحرار وصلاح سالم العضو البارز فى مجلس قيادة الثورة، والدكتور محمود فوزى وزير الخارجية فى ذلك الحين والذى عمل قنصلا لمصر فى الأربعينيات بالقدس بفلسطين إبان تولى حكومة الوفد الحكم، وكذلك على شوقى وعبد الرحمن صادق بالسفارة المصرية بباريس، فهل هذه الأطراف كانت تعنى تحقيق هدف واحد حتى ولو تعددت البواعث إلا وهو تحقيق صلح أو سلام مع إسرائيل فى هذه المرحلة المبكرة من قيام حركة الضباط الأحرار وبالتالى كان هذا الهدف ضمن أهداف أخرى قد جمعت بينهم قبيل الثورة وبعدها؟! وإذا كان هذا التوافق ظاهر فهل يعنى ذلك وجود اتفاق خفى من قبل؟! وإذا لم يكن هذا الهدف أو ذلك التوافق يعنى هدفاً مشتركاً أو هدفاً واحداً بالنسبة إليهم أو غيرهم، ألم يكن يسبب هذا بعض من الفرقة أو الانقسام أو الاختلاف أساسا حول هذه الاتصالات أو الاستمرار فيها، أم ماذا ؟!

لا شك أن هذا الأمر يدعو للدهشة وللعديد من التساؤلات، فهل كان لثورة يوليو ذلك الهدف قبيل إعلانها للأهداف الستة الشهيرة ؟!

٧ – ما مارسه الانقلاب العسكرى لقبول الأمر الواقع بوجود إسرائيل فى المنطقة وجودا شرعيا معترفا به من أصحاب الحق نفسه، ويتضح التمهيد الاقتصادى بإجراءات التخريب فى هذا الميدان التى لم تعد خافية طوال ثلاثين عاما من هذا الانقلاب العسكرى الأمر الذى أدى إلى فراغ الخزينة المصرية، ونزول الاقتصاد المصرى إلى تحت الصفر – كما صرح بذلك رئيس الدولة السابق(*) بعد الحرب الأخيرة.. مما جعل الناس – عامة الناس – يسلمون بعد الخنق الاقتصادى المذكور بوجوب الصلح مع إسرائيل والتسليم بالأمر الواقع ظنا منهم أن ما هم فيه من الخنق الاقتصادى سببه الحرب مع إسرائيل، والحق أن ما وصل إليه الشعب المصرى من ضيق اقتصادى ومشاكل اجتماعية يرجع فى المقام الأول إلى فساد نظام الحكم وخراب ذمم القائمين على مقدرات شعب مصر.

– أما التمهيد الإعلامى.. فقد مر بأكثر من طريق.. طريق الدعاية بأن مصر حاربت وهى أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط، ثم وقع معها اليأس من النصر.

ثم ما أعقب ذلك من ادعاء أن كل مشاكل مصر هى بسبب حربها مع إسرائيل، وأن الرخاء ينتظر مع الصلح والسلام، وكل من السلام والرخاء من الأوهام التى ستثبت الأيام أنه كان من خرافات الصهيونية التى خدرت بها السذج والأغبياء.

– أما التمهيد السياسى.. فقد كان تمهيدا خارجيا.. بما مورس من خيانة وتآمر مع القوى اليهودية المتعاونة مع القوى الصليبية الدولية، وتمهيدا داخليا بما مورس من إجراءات القمع الشديدة التى أفقدت الشعب كثيرا من نخوته، وجعلته يتخلى عن كثير من شجاعته، مما جعله غير قادر وغير راغب فى مواجهة حربية مع العدو.

ذلك «بعض» ما مارسه الانقلاب العسكرى فى مصر خدمة للخط اليهودى، وتحقيقا لمخططه، ونقول «بعض» لأنه ما تكشف لنا مع الدليل، وما خفى لا بد أنه أعظم، ولعل معاهدة الصلح الأخيرة.. قد أكدت كل ما سبق، ولعل

(*) المقصود به (أنور السادات).

ما سوف يعانيه الشعب المصرى من غزو فكرى واقتصادى على قيمه ومقوماته من قبل اليهود سوف يكون تأكيدا آخر.

هذا عن الخط اليهودى.. الذى يعمل متعمقا، والذى صار – كما أشار بيجين – من أن له أصدقاء فى مصر، أكثر من أصدقائه فى إسرائيل، ويكفى أن تعرف أن وزير الدولة للشؤون الخارجية الحالى[1] متزوج من يهودية، وأن أحد الكبار قد زوج ابنه من سلالة يهودية، وأن حاخام مصر الذى سوف يترأس يهودها (١٤٠ فردا حتى الآن) سوف يقدم إليها من إسرائيل وسوف تدفع الدولة له راتبه ونفقاته.

* * *

الحركة الإسلامية فى مصر

● عرفت مصر الإسلام منذ فجره الأول:

وعلى مدى سنى التاريخ تفجرت فيها حركات وظهر فيها علماء يشهد لهم تراثهم فى المكتبة الإسلامية.

وكان «الأزهر الشريف» منذ عهد الدولة الفاطمية مناراً للعلم ومصدراً للإشعاع.

إلا أنه مع التآمر الصليبى.. بدءاً من الحملات الصليبية ومروراً بالاستعمار البريطانى، كان التركيز على إخماد شعلة الأزهر بوسائل عديدة ذكرناها فى أماكن أخرى[2].

وكان آخر دور وطنى لعبه الأزهر فى ثورة ١٩١٩ م إذكاء لها ضد الاستعمار البريطانى، وإضفاء طابع الإسلام على مجاهدة الاستعمار البريطانى وإخراجه من

---

(١) وقت صدور الطبعة الرابعة (١٩٩٠ م).

(٢) أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى – المؤلف بالاشتراك.

وكان من بين الوسائل الإزراء بالأزهر الشريف وازدراء خريجيه... عن طريق النكتة (الكاريكاتير) والتمثيلية، والمسرحية، والفيلم – فضلاً عن تفرقة ظالمة بين خريجيه وخريجى الجامعات الأخرى فيما يشغلون من وظائف وفيما يتقاضون من مرتبات... إلخ.

أرض البلاد، إلا أنه أمكن تطويق تلك الثورة، والانحراف بها بعيداً عن الاتجاه الإسلامى، ثم بعيداً بعد ذلك عن الاتجاه الموضوعى الوطنى[١].

– ومع حدث إسقاط الخلافة الإسلامية الذى تعده أخطر حدث بعد وفاة النبى ﷺ، ومع ردود الفعل الهزيلة فى العالم الإسلامى[٢]... كان أول رد فعل جاء هو ظهور جماعة الإخوان المسلمين (كبرى الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامية) بعد الحدث بأربع سنوات، وكان منهجها (السلعى) مع إحياء معنى الجهاد فى نفوس المسلمين، مع جعل إعادة الخلافة الإسلامية فى رأس أهدافها[٣]... وكان ذلك كله دافعاً إلى محاربتها من القوى التى حملت على عاتقها حرب الإسلام الحق ومنع عودة الخلافة مرة أخرى[٤].

---

(١) كان ذلك بأبرز الزعامات الوطنية وتسليطها الأضواء عليها ثم كان الانحراف بأهداف الثورة إلى أهداف شخصية.. هى الإفراج عن الزعماء وعودتهم إلى أرض الوطن... وبعودتهم كانت الفرحة التى كان معها نسيان الأهداف، ثم كان الاتجاه إلى أهداف جديدة وهى الدستور، والحكم ثم كان الهتاف بأن الاحتلال على يد (فلان) خير من الاستقلال على يد (فلان)! بديلاً عن (الجلاء التام أو الموت الزؤام)!!

(٢) أشار د/محمد محمد حسين فى كتابه القيم (الاتجاهات الوطنية فى أدبنا المعاصر) إلى هذه الردود ومن أهمها ما أشرنا إليه من انعقاد مؤتمرين فى مصر وانفضاض الثانى دون قرار بتدخل من الاستعمار البريطانى الذى حمل على كاهله إسقاط الخلافة وبالتالى عدم قيامها مرة أخرى!

كذلك أشار إلى ما فعله المسلمون الهنود من حملهم الأموال والهدايا – وهم الفقراء. إلى من حمل الإثم الأكبر فى إسقاط الخلافة (مصطفى كمال – الشهير بأتاتورك وهى تعنى أبا الأتراك، وهو لقب لا يستحقه). وعرضوا على ذلك الخائن لدينه وأمته:

أن يقبل بالهدايا والأموال وأن يعيد الخلافة مرة أخرى مع استعدادهم لإعطائه البيعة ليكون هو الخليفة الجديد(!!).. فقبل الهدايا ورفض الباقى وردهم خائبين!

(٣) دراسة رسالة التعاليم للإمام البنا – رحمه الله – مؤسس جماعة الإخوان تنبئ عن الاتجاه السلفى الواضح لهذه الجماعة برغم أن مؤسسها عرف الصوفيه فى صباه... ولعل هذه المعرفة مع دراسته العلمية العميقة الواضحة فى رسائله.. هى التى دفعته إلى هذا الخيار – والله أعلم – كما جاء فى رسالة المؤتمر الخامس الإشارة إلى أن إعادة الخلافة فى رأس برنامج الجماعة وإن تحفظ بأن (دون ذلك خطوات وخطوات).

(٤) تركزت هذه القوى فى بريطانيا إبان استعمارها لمضر ثم مشاركة أمريكا وفرنسا كما ظهر فى وثيقة حل الجماعة عام ١٩٤٨ – وأخيراً فى أمريكا التى تعاونت مع جمال عبد الناصر تعاوناً كبيراً كشفت عنه الوثائق.

محن الجماعة الكبرى وظهور جماعات أخرى:

تعرضت الجماعة لمنهجها ثم لمشاركتها فى حرب فلسطين لمحن متوالية:

أولها: فى عهد الملك السابق فاروق، وأثناء معركة فلسطين نفسها فقد تم القبض على فدائييها الذين أظهروا روحاً عالية واستطاعوا هزيمة اليهود فى أكثر من مواجهة بما شهد به الأعداء – وحملوا من أرض فلسطين إلى معتقلات (الطور) و(الهاكستيب).

ثم كان قمة التآمر قتل مؤسس الجماعة فى ميدان عام برصاص رجال الشرطة السرية – كما كشف التحقيق بعد ذلك.

ثانيها: فى عهد جمال عبد الناصر:

تعرضت الجماعة مرتين لمحاولة الاستئصال بالقتل والتعذيب والسجن والتشريد، واصطنعت لذلك القضايا والمؤمرات على طريقة (نابليون بونابرت) عندما أراد أن يتخلص من أعدائه وكان حصيلة هاتين المحنتين: شهداء علقوا على أعواد المشانق، وآخرون ماتوا تحت سنابك التعذيب، غير ما أصاب الأسر والعائلات.. من تغيب عائلهم، وحرمانهم فى أرزاقهم تحقيقاً لأهداف خسيسة!.

ثالثها: فى عهد أنور السادات:

اعتقل المرشد العام للجماعة (الشيخ عمر التلمسانى – رحمه الله) مع ثلة من أبناء الجماعة.. مع آخرين من جماعات أخرى بدأت تظهر على الساحة.

■ **وبدأ ظهور جماعات أخرى:**

ظاهرها أنها على غير الخط الذى كانت عليه الجماعة الأخرى يؤكد ذلك ما يصدر عن بعضها أو أكثرها من انتقادات لخط الجماعة ومواقفها الأخيرة!.

وإذ أعلنت جماعة الإخوان منذ تولى مرشدها الثالث عمر التلمسانى قيادتها – أنها تخلت عن طريق العنف فى مواجهة الأحداث الداخلية، واتجهت

إلى منهج التربية – فقد أعلنت جماعات أخرى تبنيها لخط الجهاد – ظنا منها أن الجماعة الكبرى قد تركت هذا الخط وتخلت عنه[1] !

حافة الهاوية :

لا يستطيع مخلص أو عاقل يرصد أحداث مصر إلا أن يقرر أنها الآن على حافة الهاوية .

فلئن بدأ فى الفترة الأخيرة هدوء يشير إلى احتمال السيطرة الأمنية على البلاد : فلقد سبق ذلك فترات من الهدوء كانت تعقبها أحداث ضخمة خطط لها بكثير من الإتقان . . كما حدث قبل اغتيال رفعت المحجوب ، وقبل محاولات اغتيال وزير الداخلية حسن الألفى ثم وزير الإعلام صفوت الشريف .

بل إنه أحياناً تعلن أجهزة الأمن أو أجهزة الحكومة سيطرتها الكاملة على الموقف أو قضاءها التام على (الإرهاب) ثم يقع حادث ضخم كما وقع فى

---

(١) كان أول هذه الجماعات ظهوراً هو « جماعة المسلمين » التى أسسها شكرى مصطفى – رحمه الله – واسميت « جماعة التكفير والهجرة » وكانت نشأتها داخل السجون على أثر الممارسات اللإنسانية التى مارستها أجهزة الأمن – مما كان رد الفعل الأول لها . . اتهام من مارس بالكفر ، ثم من أمر ، ثم من رضى . . . . إلخ .

ثم كان ظهور جماعات انشقت من تلك الجماعة . . يكفر بعضها . . بعضا .

ثم كان ظهور جماعة « صالح سرية » – رحمه الله – . أو كما سميت « بالفنية العسكرية » وهى جماعة اتجهت إلى التغيير من خلال عملية عسكرية يقوم بها طلاب تلك الكلية .

وأعقب ذلك ظهور « جماعات الجهاد » بأسماء متعددة . .

وكان قمة الأحداث التى وقعت « اغتيال السادات » رئيس جمهورية مصر وهو فى قمة زهوه ، فى عملية عسكرية كان فيها من الإتقان ما أذهل العالم ، وغيّر خطط حراسة رؤساء العالم .

ثم أعقب ذلك تولى الرئيس . الحالى محمد حسنى مبارك . . وبدأ عهده بشعارات الحرية والنزاهة . . . إلا أنه سرعان ما وقع من الأحداث . . . ما جعل الوضع « متدهورا » مع الجماعات الإسلامية الوليدة وكان الدم متبادلا . .

ففى جانب الحكومة : وقع حادث اغتيال رئيس مجلس الشعب رفعت المحجوب . كما وقعت محاولة اغتيال رئيس مجلس الوزراء عاطف صدقى . ومحاولة اغتيال وزير الداخلية الألفى .

وعلى الجانب الآخر قتلت الحكومة عمداً أو بمحاكمة عسكرية أو بالتعذيب عشرات من الشباب . . . كان أكثرها إثارة . . قتل أحد زعمائهم ووضع جثته على سلك كهربائى بزعم أنه ألقى بنفسه فوقع على هذا السلك . وقتل سبعة داخل شقة وهم نائمون . . إلخ .

محاولة اغتيال وزير الداخلية الذى وقعت قريبا من وزارة الداخلية وفى رائعة النهار....

والهاوية التى يخشى على البلاد منها.. هو استمرار «حمامات الدم»، أو تفجر حرب أهلية تقضى إلى مزيد من الدماء.. خاصة وأن الضغوط الاقتصادية وغلاء الأسعار المتوالى بما لا يلاحق معه أية زيادة فى الدخل....

فضلاً عن ازدياد مظاهر الانحلال والتفسخ والبعد عن الدين الحق.. وانحدار الإعلام إلى حد دفع من كانوا يدافعون عن موقف الحكومة إلى مهاجمتها أو استنكار ما يذاع فى وسائل الإعلام الرسمية(*).

بيد أن هاوية أخرى ربما لم يعمل لها حساب.. وهو سقوط البلاد فى إحدى قبضتين:

- قبضة عسكرية أكثر إيغالاً فى الدماء:
- أو قبضة إسلامية.. غير مؤهلة أو غير مدربة.. فتسقط فى أخطاء شديدة باسم الإسلام، فتسىء إلى الاسم الطاهر وتنفر الناس من حكم الإسلام العادل الذى ينتظره الملايين ليخرجهم – بإذن الله – من الظلمات إلى النور.

(*) من أمثلة ذلك مسلسل أذاعته القناة الفضائية فضلاً عن القنوات الأخرى تحت عنوان «العائلة» وفيه سخرية غير لائقة بعذاب القبر، وقد استنكره فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر كما استنكره مفتى الديار المصرية الذى سبق له الإفتاء بحل الفائدة (ربا البنوك) فانظر كيف تحول عنهم من كانوا يؤيدونهم!

تحـــذير:

برغم أن الجماعة الأم فى مصر اتخذت موقف «مراقبة الأحداث» والبعد عن المشاركة فى أحداث العنف، وسلوك القنوات «الشرعية قانوناً» مثل المشاركة فى مجلس الشعب، والمشاركة فى النقابات، وغير ذلك.

فإن أصواتاً انبعثت فى الفترة الأخيرة تتهم الجماعة بمساندة الإرهاب أو إمداده!

وبلغ التطاول حد استدعاء «المرشد العام» للجماعة إلى التحقيق أمام بعض جهات التحقيق، ثم اتهام ثلة من خيرة المثقفين فى مصر وإحالتهم لمحاكمة عسكرية وإذ نحمل فى هذه السطور التحذير لهذه الأصوات فإنا فى الوقت نفسه نحمل لها «النذير».

﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾ [التوبة: ٥٢].

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

● **مستقبل الإسلام فى مصر :**

الحديث عن المستقبل رجم بالغيب، لكن من خلال أمر الله لنا أن «أعدوا» فإن التخطيط جزء من الإعداد بل هو رأس الإعداد كله، ومع التخطيط لا بد من التوقع من خلال ما يجرى من أحداث وما حولنا من شواهد.

وتوقعنا من خلال الأحداث وما حولنا من شواهد هو أن الصليبية متحالفة مع اليهودية.. سوف تحاولان أن تجعلا مصر هدية لأقباطها.. فيقوم فى مصر حكم صليبى نصرانى متحالف مع الحكم اليهودى القائم فى شمالها. وله فى ذلك أحد السبيلين:

١ – إما أن يستأصل شأفة المسلمين، ويأخذ أراضيهم وديارهم كما فعل النصارى فى الأندلس قديما وفى الفيلبين حديثا، وكما فعل اليهود فى فلسطين حديثا.

٢ – وإما أن يكتفى بإذلال المسلمين وإبعادهم عن السلطة، وجعل السلطة فى يد النصارى كما حدث فى تنجانيقا التى اتحدت مع زنجبار تحت اسم تنزانيا ليحكم النصارى ٨٥٪ من السكان المسلمين، وكما حدث لأثيوبيا إذ مكن للنصارى رغن أن الأغلبية الإسلامية تجاوز ٧٥٪ من التعداد الحقيقى للسكان.

لكن ماذا نتوقع من الجانب الآخر..

من الأغلبية الإسلامية التى تصل إلى أكثر من ٩٥٪ من تعداد السكان – إن بقيت هذه الأغلبية.. بعيدة عن الوعى، بعيدة عن الجهاد، بعيدة عن الالتفاف حول قيادتها الإسلامية – فإنه يمكن أن يكون مصيرها مثل مصير الأغلبية المسلمة التى عاشت فى الأندلس، أو الأغلبية الإسلامية التى تعيش فى تنزانيا (على أحسن تقدير). وإن أنعم الله عليها بالوعى، وعافاها من الغفلة، وعرفت الطريق إلى الجهاد تحت راية الإسلام وتحت قيادة جماعية إسلامية..

فإنها سوف تلقن «الشياه» أن تراب الإسلام لا يباع للنصارى واليهود، وأن مصر التى قبرت غزاة الأمس سوف تقبر بإذن الله غزاة اليوم، وأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ﴿ **وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [الصف: ٨]، ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

* * *

. . . . . .

– صدرت كتابات تتهم الاتجاه الإسلامى الأصولى فى مصر بالآتى :

١ – تتهمه فى عقيدته . . . أن أكثر الدعاة لا يفهم معنى لا إله إلا الله . وإن بعضهم يقول بسلخ العمل من الإيمان !

٢ – وتتهمه فى أنه لم يحسن تربية القاعدة العريضة التى استجاب له !

٣ – وتتهمه فى بعض المواقف . . مثل خوض حرب فلسطين، أو خوض معركة الانتخابات .

– وقبل أن نعرض للرد على هذه الاتهامات . . نود أن نقول لهؤلاء الأحباب : ماذا لو قدمتم لنا النصيحة مستورة بيننا وبينكم .

إن صدورنا وقلوبنا تتسع لغيركم، أفلا تتسع لكم وقد سالت دماؤنا ودماؤكم يوما على أرض واحدة لتروى مبادئ واحدة . . كنتم معنا يوما عليها . . حتى أعطيتم صفقة يدكم وثمرة قلبكم ؟!

وإذا كان لكم أن تتحللوا مما أعطيتم عليه صفقة يدكم لأنكم لم تنتسبوا قبلها، أفليس الذى افتدى هذه المبادئ، وقبل أن يعلق على أعواد المشانق ولا يعطى فيها الدنية . . أفليس لكم به صلة أو تحملون له الوفاء ؟!

وأخيرا . . . أفيغيظ هذا عدو الله أم يسره . . وهل يقرب ذلك يوم النصر أم يبعده؟

أما أولئك آثروا العافية بعدا عن ميدان المعركة . . لكنهم ينتقدون ويجرحون، وأما أولئك الذين لم ينتسبوا يوما، ولم يخالط الحق شغاف قلوبهم، وإنما جمعتهم الأسماء أو الأهواء .

وأما أولئك الذين احتوتهم تيارات العنف والغلو بعيدا عن صراط الله المستقيم وسطا بين الإفراط والتفريط .

أولئك وأولئك نحن عنهم معرضون، ولهم داعون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وفى كلمات موجزة نتناول ما أشرنا إليه من نقاط بمشيئة الله .

(أ) اتهام العقيـــدة :

صار سهلا على الناس أن يتهموا، لأن الهدم أسهل من البناء، والهبوط أيسر من الصعود !

– واتهام العقيدة خطير .

أنه – إن لم يصح – مردود على صاحبه ! كما جاء فى الحديث الصحيح .

– والقول بأن أكثر الدعاة لا يفهمون « لا إله إلا الله » . . قولة خطيرة . . أنها تعنى أولا أنهم جاهلون .

وتعنى في الوقت نفسه صعوبة « لا إله إلا الله » . .

وإذا لم تتيسر « لا إله إلا الله » لفهم الدعاة فكيف بالعوام يفهمونها، وإذا دين لا يفهم أكثر الدعاة رأسه وقمته . . فكيف يدعى الناس كل الناس إليه !

ثم أليس فى مثل هذه القولة شىء من الغرور ؟! =

. . . . . .

= – وأما القولة الأخرى بأن البعض يسلخ العمل من مسمى الإيمان. فقد قدمنا الحديث عليها.

أن اختلاف الأئمة – وهم خير القرون – حول العمل هل يدخل كجزء من الإيمان أم يكون ثمرة لازمة للإيمان.. هو خلاف شكلى، لأن النتيجة واحدة.. أن الكل مجمع على لزوم الإيمان.

لكن الكل مجمع كذلك على أن ترك العمل لا يترتب عليه نفس نتيجة تارك العنصرين الآخرين.. أى لا يترتب عليه الكفر المخرج من الملة.. فإذا لمزنا البعض لأننا لا نخرج من الملة من يترك شيئا من العمل وإن قلنا بعصيانه وبتعرضه لغضب الله ولعذابه.. فإننا نعرض عن ذلك لأنه لا يلزم للتخويف من العذاب الخلود فى النار...

أن يوما بل ساعة بل لحظة من عذاب الله لا تساويها الدنيا بما فيها ومن فيها. فما بالك والله يقول: ﴿ **وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [الحج: ٤٧]؟!

وأخيرا نهمس فى آذانهم: دعونا من المرجئة والإرجاء.. فإنها فرقة اندثرت ولا تبعثوها مرة أخرى بكلامكم وكتاباتكم؟! وذلك فضلا عن أن تلك الفرقة لم تكن تكتفى بإخراج العمل بل كانت تجاوز ذلك إلى القول بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، وقد اعتبر الإمام ابن تيمية ذلك كفرا صريحا (الإيمان ص ٤٨، ٧٢، ٧٥).

(ب) اتهام فى منهج التربية:

اتهم تفس الاتجاه بأنه أهمل التربية.

ونحن لا نغضب لهذا الاتهام، فقد اتهم نفس الكتاب صحابة رسول الله ﷺ نفس الاتهام إذ قال: «أو لم تكن تلك الجموع التى دخلت فى دين الله أفواجا قد أتيح لها من التربية الإسلامية ما أتيح للجيل الذى رباه رسول الله ﷺ على عينيه» (واقعنا المعاصر ص ١١٩).

ونحن نقول بعد ذلك: أن الله لا يطلب منا إلا ما فى طاقتنا، وما زاد عن ذلك لا يحاسبنا عليه ﴿ **رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

بيد أننا نشير.. إلى أننا مستمسكون بما جاء به الكتاب والسنة فى هذا السبيل، وليس بالتكفير والتجهيل تربى الأجيال! (نحو نظرية التربية الإسلامية – للمؤلف).

(جـ) اتهام في المواقف:

أما فى حرب فلسطين.

فشرف أن خضناها.. لنؤكد عالمية الدعوة. ولنؤكد قداسة المسجد الأقصى مسرى رسول الله ﷺ وأولى القبلتين وثالث الحرمين!

ولقد كانت الراية يومئذ متميزة.. كانت راية إسلامية خالصة ولم يكن لنا أن نتهرب من المعركة.. وقد فرضت بإعلان دولة يهودية على أرض فلسطين، وبالاستطاعة التى كانت قائمة والتى حققت هزيمة اليهود فى بداية الأمر لولا الخيانة التى كانت غيبا لم يكن يعلمه أحد، والذين لم يجاهدوا.. عليهم أن يُخْرَجُوا قبل أن يُجَرَّحُوا الذين جاهدوا..!

. . . . . .

= = **(د) أما معركة الانتخابات :**

– فقد كانت الحركة فيها ذكية وقوية.. مما أثار الأعداء فأرغوا وأزبدوا ولو أتيح للذين هاجموا أن يشهدوا المعركة لشهدوا لنا..

لكن جلسوا – في عافية – بعيدا.. وراحوا ينتقدون !

– أن رسول الله ﷺ دخل مكة في جوار كافر ليبلغ دعوة ربه، وكان يقول: « من يحمينى لأبلغ دعوة ربى »، فإذا أتيحت لداعية هذه الحماية بغير كفر فكيف يرفضها بل كيف يرفصها؟!

– وإذا كان الدعاة في الغرب يدخلون « الخمارات » ويدخلون « الكنائس » ليبلغوا دعوة ربهم وكانوا في الشرق يدخلون « المقاهى » لنفس الغرض... أفلا يأخذ مجلس الشعب نفس الحكم أم هو أدنى؟!

– أما الآية الكريمة: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ [النساء: ١٤٠].

فهى نهى عن الجلوس مع الكافرين كما يبين من أولها وآخرها ووسطها وكما يذهب إلى ذلك المفسرون.

ثم إن النهى قاصر على ساعة الخوض لأنه أعقب ذلك بقوله: « **حتى يخوضوا فى حديث غيره..** ».

وعلى ذلك.. وعلى أسوأ الفروض.. إذا خاض أعضاء مجلس الشعب فى آيات الله (ولا يتصور أن يخوضوا فى كل جلسة) امتنع الجلوس معهم – بالانسحاب – حتى يخوضوا فى حديث غيره.. – فإن انتقلوا إلى حديث آخر فلا بأس من الجلوس – كما هو ظاهر الآية الكريمة.

وإلا فمتى وأين وكيف نبلغ دعوة ربنا؟

وكيف نقيم الحجة على أولئك القوم؟

وكيف نقول الكلمة: كلمة الحق.. فى وجه السلطان الجائر؟ – وإذا كان الدعاة يدخلون تحت راية متميزة، ويضيفون إلى القسم (فى غير معصية)، ويعلنون أنهم معارضة.. أى يعارضون النظام القائم... فأى مشاركة فى ذلك..؟

وهل كان حسن البنا مخطئا حين رشح نفسه مرتين.. ليبلغ دعوة ربه، وليقيم الحجة، وليقول كلمة الحق...؟

وهل غيره ممن عملوا « موظفين » فى وزارات علمانية وتدعو إلى العلمانية أقل خطأ؟

– أن العبرة أولا بالنية، وثانيا بالولاء..

وما دام الأمران لله.. فإن العمل يصطبغ بهما.. والله أعلم !

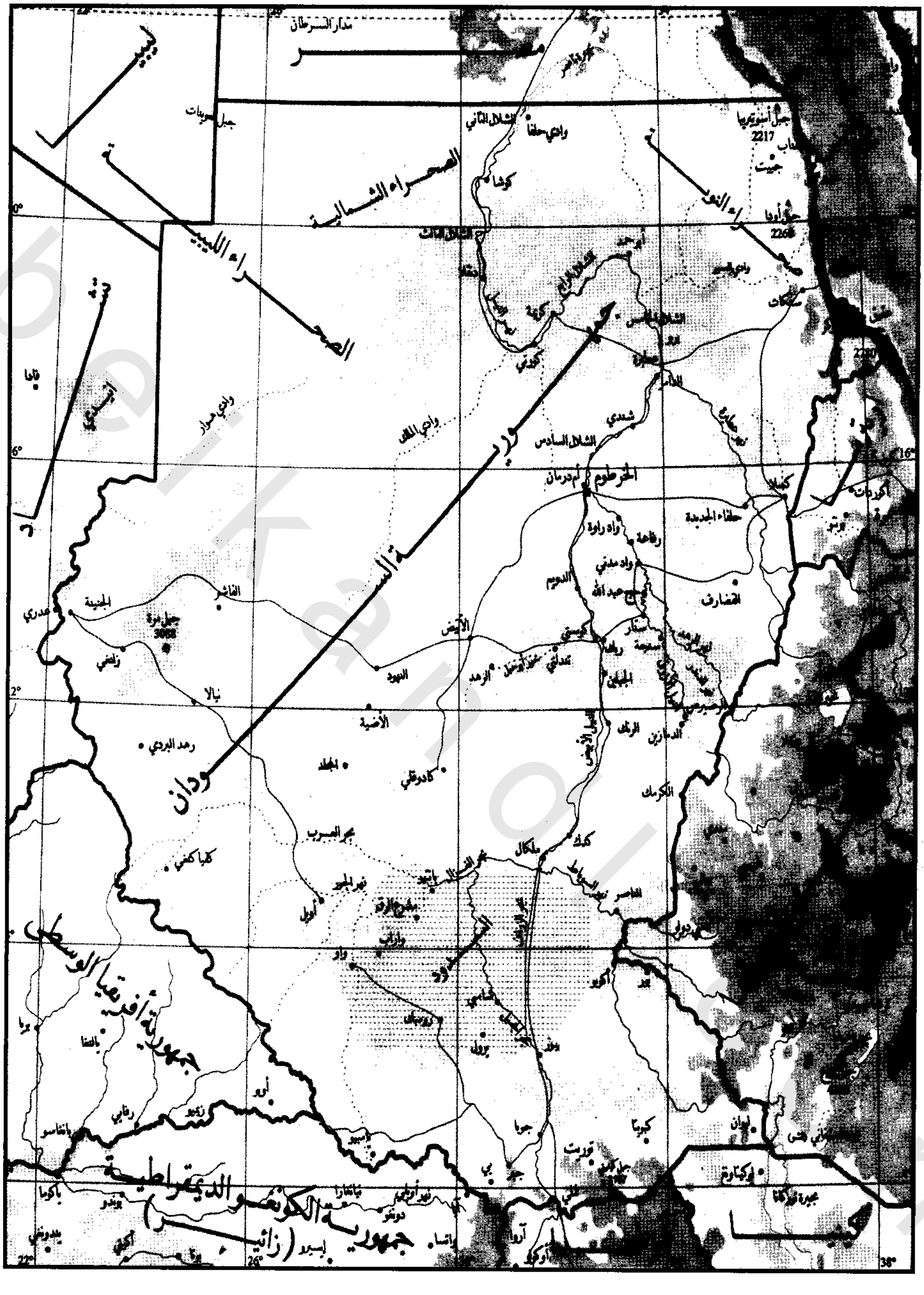

جمهورية السودان

obeikandl.com

المبحث الرابع

السـودان

● **تقـدمة:**

كان فى القديم يطلق على أغلب مناطق إفريقيا باعتبار غلبة اللون «الأسمر» فيها، لكنه صار علما على وطن يقع جنوب مصر وتحده من جهاته الأخرى ليبيا وتشاد وإفريقيا الوسطى، وزائير ويوغندا وكينيا، وأثيوبيا وأرتريا، ويفصله من الشرق عن السعودية البحر الأحمر.

وهو بهذه المثابة يعد «قلب» إفريقيا.

ومن هنا كان التركيز عليه من قبل القوى الخارجية.

وهو من ناحية أخرى يمتلك أرضا خصبة غير عادية، بحيث يكفى فيها إلقاء البذر لتؤتى ثمارها كل حين بإذن ربها!

وهو غنى كذلك بالموارد الطبيعية والثروة الحيوانية والمعدنية.

وقد دخله الإسلام مبكرا فى القرن الثالث.. واستقر فى قلوب أبنائه.. لكنه اليوم يتهدده أكثر من خطر:

– فالخطر الشيوعى لا يزال قائما رغم فشل أكثر من محاولة، وقد كان الحزب الشيوعى السودانى – يوما ما – الحزب الأول فى إفريقيا.

– وخطر الانقسام الذى يتبدى فى حركة الشقاق التى يقودها فى الجنوب جورج قرنق هادفا إلى فصل الجنوب عن الشمال بل واهما اخضاع الشمال للجنوب، ومجموعة من الدول المجاورة وغير المجاورة تخدم نفس الهدف!

ونتحدث – بمشيئة الله – فى موجز عن تاريخ السودان.

ثم نتحدث عن الأخطار التى تتهدده.

ومنها خطر الولايات المتحدة الأمريكية التى أعلنت عن عدائها لنظامه الحاضر!

أولا : لمحة تاريخية

١ - الإسلام والسودان :

دخل الإسلام السودان فى أوائل العقد الثالث من الهجرة أثر ما عقد من اتفاق بين عبد الله بن أبى السرح وملك مملكة النوبة النصرانية، ثم هاجرت قبائل عربية من جهينة وقريش وغيرهما، واستوطنت واختلط بعضهم بالقبائل الزنجية، وجاءت جماعات من الأدارسة كذلك واستوطنوا، فكانت الهجرة والاستيطان هى سبيل انتشار الإسلام الرئيسى فى بلاد السودان.

وقد قامت ممالك وسلطنات إسلامية كبيرة فى السودان، وكان آخرها فى أواخر القرن الماضى الدولة المهدية بقيادة محمد أحمد بن عبد الله (الذى لقب بالمهدى) وينتهى نسبه إلى بيت رسول الله ﷺ.

ومن أحفاده «الصادق المهدى» زعيم حزب الأمة والذى تولى رئاسة الوزارة قبل الانقلاب العسكرى الأخير.

ولا يفوتنا أن نشير إلى الغزو الخطير للطرق الصوفية لأرض السودان وانضواء أعداد غفيرة من أبناء السودان تحت لوائها، ومن أكبر الطوائف الصوفية طائفة الختمية الميرغنية، وهى التى تشكل القاعدة الأساسية للحزب الاتحادى الديمقراطى(١).

بيد أنه مع منتصف هذا القرن تقريبا زحفت دعوة الإخوان المسلمين من مصر إلى السودان، وشكلت عصب الجماعات الإسلامية المتعددة. كما وجد للدعوة السلفية أنصار تحت اسم «أنصار السنة» ثم تحت اسم «الدعوة السلفية».. فضلا عن جماعات أخرى أقل عددا وأقل خطرا...!

---

(١) تكون هذا الحزب أثر اتفاق بريطانيا مع مصر على إعطاء حق تقرير المصير للسودان ليضم تحت لوائه مع الطائفة الختمية الميرغنية كل طلاب الوحدة مع مصر، وتزعمه الأزهرى ولكن للأسف سارع هذا الحزب (الاتحادى) إلى طلب الانفصال عن مصر أثر إصرار الانقلاب العسكرى فى مصر (٢٣ يوليو ١٩٥٢) على عزل اللواء محمد نجيب وعلى محاكمة الإخوان المسلمين وإعدام عددا منهم.

٢ - السياسة والسودان الحديث :

كان السودان محكوما باتفاق ثنائى بين مصر وبريطانيا عقد فى أواخر القرن التاسع عشر على أثر احتلال بريطانيا لمصر، ومن عجب أن تشارك مصر (المحتلة) بجيش مصرى يحتل السودان تحت قيادة بريطانية !

بيد أنه بعد الانقلاب العسكرى (يوليو ١٩٥٢) وقعت معاهدة بين رجال الانقلاب العسكرى الجديد وبين بريطانيا العظمى، تعهدت فيه بريطانيا بالجلاء عن مصر فى موعد أقصاه (عام ١٩٥٦) كما أنهت وضع السودان السياسى بحق تقرير المصير لشعب السودان الذى اختار الاستقلال عام ١٩٥٦ .

ولنا أن نقول : إن الانتخابات التى أجريت لهذا الغرض قفزت بالحزب الاتحادى إلى الصف الأول مما كان ينتظر معه إعلانه الوحدة أو الاتحاد مع مصر. لكن الأنانية الحاكمة فى مصر الحريصة على كرسى الحكم مقابل صفقات من الخيانة تكشف عنها الوثائق بين الحين والحين.. نقول : أبت الأنانية على مصر الوحدة مع السودان رغم أنه كان أملا للشعبين، وسعادة للشعبين! وذلك بإصرار الانقلاب العسكرى المصرى على إزاحة اللواء محمد نجيب (أول رئيس لجمهورية مصر) بدعوى تواطئه مع جماعة الإخوان المسلمين الذين علق بعض أبنائها وزعمائها على المشانق (فى عام ١٩٥٥ - ثم تكرر فى عام ١٩٦٥).

وقد قامت بالسودان حكومة «ديموقراطية» من تآلف قام بين جماعة الأنصار «الحزب الاتحادى» و «جماعة الختمية».

بيد أن التآمر الخارجى لم يمهل السودان فعاجله بعد عامين (عام ١٩٥٨) بانقلاب عسكرى حكم السودان لمدة سبع سنوات (حتى نهاية عام ١٩٦٤)[١].

وفى أكتوبر عام ١٩٦٤ أسقط الحكم العسكرى بعصيان مدنى شعبى كان فريدا من نوعه فى البلاد العربية خاصة وفى العالم الثالث عامة دل على المستوى السياسى الرفيع للشعب السودانى، وعلى حبه للحرية وتضحيته من أجلها.

---

(١) برئاسة الفريق إبراهيم عبود.

بيد أن التآمر الخارجى لم يمهل السودان – مرة أخرى – بعد أن ظهرت الحركة الإسلامية بالسودان قوية ونشيطة ومؤثرة[١].

بدأت الأصابع اليسارية تعبث بمستقبل السودان مستندة إلى كل من روسيا ومصر (الخاضعة للنفوذ الروسى فى ذلك الحين) وفشل جعفر النميرى عام ١٩٦٨ فى القفز إلى الحكم لكنه نجح عام ١٩٦٩ (مايو) وكان أكثر الانقلابيين من الشيوعيين، لكن النميرى استطاع إبعادهم، كما بطش بهم أثر محاولة انقلابية ضده عام ١٩٧٢ تسلموا فيها السلطة لمدة ثلاثة أيام.

٣ – جعفر النميرى حاكما:

استطاع جعفر النميرى أن يحكم السودان لمدة ستة عشر عاما وبرغم تصفيته للشيوعيين إلا أنه كذلك اصطدم بالحركة الإسلامية متمثلة فى جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل أمينها (فى ذلك الحين)[٢].

ومع ذلك نسجل له للانصاف:

١ – قضاءه على الحركة الشيوعية التى كانت قد استفحلت حتى كان الحزب الشيوعى السودانى فى ذلك الحين أقوى حزب فى الوطن العربى وفى إفريقيا.. وكانت له أنشطة وامتدادات أخرى خارج السودان.

٢ – إبعاده الأحزاب القومية والبعثية والناصرية عن مجال التأثير.

٣ – إجراءه المصالحة الوطنية عام ١٩٧٦ مع الجماعات السياسية والإسلامية مما أتاح للدعوة الإسلامية فرصة أوسع للانتشار والتأثير كان لها ما بعدها (بفضل الله).

٤ – أعلن عن تطبيق الشريعة الإسلامية قبل سقوطه بعامين، وسط حشد إعلامى قوى، وتجاوب شعبى أقوى، جعل من الصعب بعد ذلك على من حاولوا الارتداد عن تطبيق الشريعة – من بعده – أن يفعلوا!

٥ – أنشأ كلية القرآن الكريم، وكلية الدراسات الإسلامية.

---

(١) ظهرت فى شكل حزب الميثاق الإسلامى مكونا من اتحاد جماعة الإخوان المسلمين وجماعة أنصار السنة المحمدية وتبنت مع أحزاب أخرى الدعوة إلى العمل بالشريعة الإسلامية.

(٢) الدكتور حسن الترابى – وقد تعاون معه بعد ذلك حتى بلغ منصب «مساعد رئيس الجمهورية».

٤ - سقوط النميرى وتباشير حكم إسلامى جديد :

- سقط النميرى على أثر ارتكاسه فى آخر عهده، وإلقائه القبض على زعماء الحركة الإسلامية، وتنكره للحرية التى كان قد بدأها مع إعلانه عن تطبيق الشريعة الإسلامية.

وبدأ الأمر بحركة شعبية أعلنت العصيان وأعقبها تحرك الجيش السودانى بقيادة رجل فاضل (المشير سوار الذهب) الذى ضرب مثلا رائعا وفريدا فى إنكار الذات إذ أعلن عن فترة انتقال أجرى بعدها انتخابات حرة جاءت بتحالف بين حزب الأمة (صادق المهدى) والحزب الوطنى الاتحادى (الميرغنى) ثم الجبهة الإسلامية (د. حسن الترابى).

- وما لبث الحكم الديموقراطى (الثالث) أن تخبط أثر تنكره لتطبيق الشريعة الإسلامية، فضلا عن تخاذل وهزائم منيت بها القوات المسلحة فى مواجهة حركة التمرد الجنوبى (جورج قرنق).

- ومع تدافع التآمر الخارجى للانقضاض على الحكم الديموقراطى (الثالث) ومع تشكل أكثر من مجموعة للقيام بانقلاب عسكرى، بعضها لحساب الشيوعية، وبعضها لحساب الأمريكان وأن تغطوا بغطاء عربى مجاور.. تحركت مجموعة من الضباط يتسمون بالروح الإسلامية القوية والاتجاه الإسلامى السديد لتطيح بنظام الحكم القائم ولتعتقل رؤوسه.. لكنها ترددت فى إعلان حكم الإسلام ولا تزال إلى اليوم مترددة[١] وإن كنا نأمل فيها الخير الكثير بإذن الله.

* * *

ثانيا : حاضر السودان

١ - تقويم للحركة الأخيرة :

استطاعت مجموعة شباب السودان (الإسلامية) أن تخدع القوى الخارجية التى رغبت فى السيطرة على السودان بانقلاب عسكرى عميل، فسارت المجموعة

---

(١) نسجل بالتقدير للحاكمين بالسودان اتجاههم الإسلامى الأصيل، لكننا نأخذ عليهم التردد فى إعلان حكم الإسلام، وان قدرنا ما وقع عليهم من ضغوط خاصة زيارة رئيس عربى لدولة مجاورة لتحذيرهم من تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن قبل ذلك أوفد رئيس وزرائه للتحذير من تطبيق الشريعة الإسلامية لأن لديه (١٤ مليون أصولى) يخشى تحركهم.

بحركتها لتجهض تلك التحركات المشوبة أو المريبة وحاولت من بعد القوى المذكورة أن تطيح بها ففشلت، وأخذ الحاكمون موقفا شديدا من تلك التحركات.

ونحن إذ نتعاطف مع كل تحرك صحيح نحو الإسلام، فإننا لا نود أن يصطبغ حكم الإسلام باللون الأحمر - لون الدماء[1] - ولا أن يوصم بالديكتاتورية أو الاستبداد.. لأن الإسلام فى أصوله بعيد عن ذلك كله.

٢ - أمريكا (الصليبية) تعلن الحرب على السودان:

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية قطع المعونة الأمريكية (٥٠ مليون) لوقوع السودان تحت التأثير الأصولى.

وقد ترتب على ذلك أمران:

أولا: انعقاد مؤتمر «استثمار» عربى كان فيه الكثير من المخلصين الذين أعلنوا عن استثمارات لهم فى أرض السودان فاقت معونة أمريكا بأضعاف كثيرة.

وهو درس لضعاف النفوس الذين يخافون الولايات المتحدة الأمريكية أن تقطع عنهم قمحهم وأرزاقهم !!

ثانيا: من الله على السودان بموسم حصاد مبارك بلغ فيه القمح حدا يسد حاجة السودان.

ومن ثم أعلنت حكومة السودان استغناءها عن المعونة الأمريكية «القمحية».

وواحدة بواحدة، والبادى أظلم !

٣ - خطى سياسية رشيدة:

- دعا رجال الحركة الأخيرة إلى عدة مؤتمرات لدراسة أوضاعهم.. وهى روح طيبة تنبىء عن تمسكهم بمبدأ الشورى «الإسلامية»، ويؤدى بهم بإذن الله إلى بلوغ أحسن الحلول.

---

(١) خاصة وأن المحاكمة كانت سريعة وعسكرية وهو ما لا نقره.

obeikandl.com

– كذلك حرص رجال الحركة الأخيرة على اصلاح ذات البين مع الدول المجاورة خاصة والعربية والإسلامية عامة بديلا عن القطيعة التى انتهى إليها الحكم السابق فى أكثر العلاقات وبرغم أن بعض الدول المجاورة تتآمر على مستقبل السودان بالاتفاق مع دولة عظمى فإن رجال الحركة لا يعلنون عن ذلك لعل الجيران يتوبون إلى الله أو يذكّرون !

– كذلك تحاول الحركة أن تسترشد بالأكفاء فى جميع المجالات أخذا بحكمة «أهل الخبرة قبل أهل الثقة» وهى حكمة طيبة فى مجال العمل السياسى والاقتصادى فضلا عن المجالات الأخرى !

٤ – مستقبل السودان وأخطار تتهدده :

ولأهمية هذا الموضوع أفردنا له الفقرة التالية، والله المستعان.

* * *

ثالثا : مستقبل السودان وأخطار تتهدده

● **تقدمة – أخطار عديدة تتهدد السودان :**

أولها تاريخا وأخفها حاضرا هو الخطر الشيوعى.

وثانيها تاريخا وأشدها حاضرا هو الخطر الصليبى متمثلا فى حركة التمرد فى الجنوب.

وثالثها وأشدها خفاء الخطر الأمريكى.. وهو وإن كان يسهم فى الخطر السابق إلا أن له وسائله الأخرى.

فهذه ثلاثة تأتى عليها بإذن الله ثم نشير إلى ما ينتظر للسودان من مستقبل بمشيئة الله.

الخطر الأول – الخطر الشيوعى :

– قلنا إنه أقدمها من الناحية التاريخية، وقد كان يومئذ شديدا وخطيرا، وذلك استنادا إلى ما يلى :

(أ) استغلال جهل العامة بحقيقة الشيوعية.

(ب) قوة الحزب الشيوعى السودانى حتى لقد قيل – بحق – أنه يتزعم الحركة الشيوعية فى المنطقة.

(جـ) فقر السودان مما يؤهله لخديعة الشيوعية التى قال قائلها – مخادعا –: أيها الصعاليك، اتحدوا فأمامكم عالم تغنمونه وليس لديكم ما تفقدونه سوى الأغلال.

– وقد انحسر الخطر الشيوعى بفضل الله استنادا إلى:

(أ) تنامى الوعى الشعبى عامة والدينى خاصة.

(ب) انكشاف الشيوعية وتساقطها فى عقر دارها.

(جـ) الضربات التى وجهت إلى الحركة الشيوعية فى السودان خاصة فى عهد جعفر النميرى.

الخطر الثانى – حركة التمرد الجنوبى:

– وهى الخطر الحقيقى والداهم على السودان عامة وعلى توجهه الإسلامى خاصة.

– وقد بدأت حركة التمرد منذ استقلال السودان (عام ١٩٥٦). وتنامت الحركة مع الدعم الخارجى لها والذى سنفصله بعد قليل إن شاء الله ومع الممارسات الخاطئة لبعض الشماليين (كعرب ومسلمين).

– وفى عام ١٩٧٢ استطاع جعفر النميرى أن يوجه لها ضربة «سياسية» بعقد اتفاقية أديس أبابا (اتفاقية الوحدة الوطنية) فاستوعب جيش التمرد فى الجيش السودانى واستوعب قادة التمرد فى الوظائف الحكومية، لكن جزءا من الحركة بقى متمردا بحجة عدم تطبيق أو تنفيذ بنود الاتفاق.

وفى عام ١٩٨٣ – وبعد عشر سنوات من الضربة الأولى – أراد جعفر النميرى أن يوجه ضربة أخرى فأصدر قرارا بتقسيم الاقليم الجنوبى إلى ثلاثة أقاليم على أساس قبلى – لكن المتمردين عدوا ذلك خرقا للاتفاقية فزادت ثورتهم.

- جورج قرنق يقود التمرد :

عاد المذكور من الولايات المتحدة الأمريكية (!) ومعه درجة الدكتوراه فى العلوم العسكرية من جامعة أيوا، وعين ضابطا فى فرع الأبحاث العسكرية، وفى أجازته الشتوية من نفس العام (١٩٨٣) توجه إلى المتمردين - بحجة تلطيف الجو - فانضم إليهم وعين الرجل الثالث فى الحركة، لكنه كان يرى نفسه أحق بالأولوية من غيره، وتوجه إلى أثيوبيا فى أول تحرك دبلوماسى للحركة، وهناك أبقته السلطات الأثيوبية حتى تظهر نتيجة تفاوض وفدها مع رجال حركة التمرد.

وقد قدمت أثيوبيا طلبات إلى الحركة لدعمها[١]، فلما رفضتها قبلها جورج قرنق، ونصب قائدا - بالقوة - على الحركة.

ولا تزال الحركة تحمل السلاح لتحقيق هدفها الأول.. طبقا للتخطيط الأجنبى الأثيوبى، مدعومة من قوى عديدة تقدم لها الكثير.

لكن رجال الحركة الأخيرة فى السودان استطاعوا توجيه الضربات لحركة التمرد، فسيطروا على ثلثى الأرض هناك وحققوا نصرا حاسما وهزيمة ساحقة لحركة التمرد بفضل الله[٢].

وهو ما نشير إليه بعد استيعاب الخطر الثالث.

الخطر الثالث - الخطر الأمريكى :

وهو خطر خفى غير ظاهر.

وأمريكا لا تهدد السودان فقط.

أنها تهدد العالم الإسلامى خاصة والعالم الثالث عامة.

وهى فى ذلك صادرة عن شعور بالقوة يدفع إلى الطغيان، وإن كان فى طغيانه مغلفا «بالسلوفان» أو «بالحرير» متمثلا فى علاقات دبلوماسية ترسمها أجهزة متخصصة «البنتاجون» و (C. I. A) و «البيت الأبيض»، وداخل كل

---

(١) هذه معلومات شخصية استقيناها ممن نعرف من الثقات من أبناء السودان - والله أعلم.

(٢) تم مع شخوص هذه الكلمات للطباعة توقيع معاهدة سلام بين حركة التمرد وحكومة الخرطوم، وبها صار قائد التمرد (قرنق) نائبا أول لرئيس الجمهورية وتلا ذلك هلاك (قرنق) وتولى نائبه بدلا منه وفى انتظار المهلة المحددة للاستفتاء بعد ذلك!

واحـدة من هؤلاء جـزء مـتـخـصص فى شـؤون «الشـرق الأوسط» قـائم على «معلومات دقيقة» و «دراسات متخصصة».

بيد أنه يبقى وراء ذلك قوة تستشعرها الولايات المتحدة، وتحاول من خلالها السيطرة على العالم أو على الجزء المتفق عليه (وفقا للوفاق الدولى) بين القوتين الأعظم فى هذا العالم!

ولا تخفى هذه القوة حين تلجأ الولايات المتحدة إلى التغيير فى المنطقة عن طريق الانقلابات العسكرية أو الانقلابات «الديمقراطية» البيضاء أو حين تلجأ بين الحين والحين إلى التخويف بـ «الأسطول السادس» أو «الأسطول السابع».

أو حين «تضطر» فعلا إلى ممارسة القوة بإنزال قواتها فى بعض المناطق بلوغا لتحقيق أهداف جزئية أو أهداف مؤقتة بعد أن عدلت عن الحرب السافرة منذ وعت هزيمة فيتنام(*).

والولايات المتحدة وإن مارست بالنسبة للسودان محاولات سابقة لسنا فى مجال العرض لها الآن، فإنها تحاول فى هذه الفترة أن تمارس الضغط عن طريق بعض البلاد المجاورة للحيلولة دون إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية مما تعتبره هذه البلاد جزءا من «استراتيجيتها» خوفا من تحرك «القوى الأصولية» فيها لنفس الهدف.

وقد بلغت الولايات المتحدة فى الفترة الأخيرة حد التآمر المباشر أو غير المباشر للإطاحة بالحكم الحالى فى السودان، لكن قدر الله لم يأذن لها بعد رغم جبروتها، ثم يقظة القوى الإسلامية فى السودان لا تزال تحول دون إمكان التغيير لصالحها.

وبعـــد . . .

فإن مستقبل السودان يرتبط:

أولا: بقدر الله الغالب الذى مكن لرجال الحركة الأخيرة رغم التآمر الدولى لصالح بعض القوى غير الإسلامية، والذى نرجو أن يكون – بإذن الله – إلى جوار القوى الإسلامية ما بقيت على طريق الله.

(*) عادت إليها بكل أسف – فى أفغانستان، ثم فى العراق ولعل الدرس الذى تأخذه فى العراق يذكرها بدرس فيتنام!

ثانيا: يقظة رجال الحكم فى السودان.

بالنظر لكثافة التآمر وتعدد جهاته.

وهى يقظة نبه إليها القرآن الكريم حين أمرنا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾.

[النساء: ٧١]

وحين أشار إلى خطر داهم ودائم:

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢] ثم قال فى نهاية نفس الآية: ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾.

ولذا شرع قبلها صلاة تقف طائفة من المؤمنين وتصلى طائفة، والأولى تمسك بأسلحتها مستعدة لأى بارقة.

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٢].

وبهذه اليقظة وهذا الحذر يتحقق بإذن الله ما ثبت على مدار التاريخ ورددته الحكمة القائلة:

إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلى ... ولا بد للقيد أن ينكسر

ثالثا: إدراك الولايات المتحدة الأمريكية لتغير ميزان القوى:

فقد كانت شعوب المنطقة إلى عهد قريب كرة تتقاذفها القوى الكبرى دون أن يكون لها إرادة فى هذا التقاذف.

ولقد نضجت الشعوب.

وكان نضجها بالدرجة الأولى إسلاميا.

وثبت ذلك فى نتائج الانتخابات التى أتيح لها أن تتنفس بشيء من الحرية[١].

فهل وعت الولايات المتحدة الدرس.

وعلمت أن مستقبل هذه الشعوب هو مع الإسلام أو مع الحركات الإسلامية «الجادة».

وخرجت من ذلك أن تتنازل عن شيء من كبريائها وغطرستها لتمد يدها بالتعاون غير المشروط على أساس من المصلحة المتبادلة بدلا من أن تفقد نفسها فى المنطقة وإلى الأبد ؟!!

أحسب ذلك ممكنا والله أعلم[٢].

* * *

(١) كما حدث فى انتخابات المجالس البلدية بالجزائر فى صيف هذا العام (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) وما حدث من قبل فى الانتخابات البرلمانية فى الأردن.

(٢) استندنا فى هذا الجزء من الكتاب لمعلومات عديدة من الثقات، ومن الصحف، ومن بعض الكتب عن السودان (من معالم تاريخ السودان.. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الخرطوم).

obeikandl.com